أُهِيبُ بِقَومِي:

خَوَاطِرُ بَيْنَ الذَّاتِ وَالوَطَنْ



القسم الأول

فائز بن موسى البدراني الحربي

ⓒ دار البدراني للنشر والتوزيع ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحربي، فائز موسى
أهيب بقومي خواطر بين الذات والوطن : القسم الأول. / فائز موسى الحربي .- الرياض ، ١٤٣١هـ
..ص ؛ ..سم

ردمك: ٢-٠٤-٩٩٢١-٦٠٣-٩٧٨

١ــ المقالات العربية – السعودية أ. العنوان

ديوي ٠٨١ ١٤٣١/١٠٨٠

رقم الإيداع: ١٤٣١/١٠٨٠
ردمك: ٢-٠٤-٩٩٢١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويــات

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وبعد؛

فإن الانضمام إلى قائمة كتاب جريدة وطنية مثل الجزيرة يُعَد حُلُمَاً يتطلع إليه الكاتب، وهدفًا يتمنى الوصول إليه؛ خصوصًا بعد أن وصلت هذه الجريدة المتميزة إلى ما وصلت إليه، وبعد أن تبوأت هذه المكانة المرموقة في علم الصحافة.

لقد انضممت إلى كتاب جريدة الجزيرة بعد أن كنت قارئًا لها ومشاركًا من خلال كتابات متقطعة ومتباينة في موضوعاتها بين مقالة أو تعقيب أو غير ذلك، لكنها علاقة توطدت على مدى عشرين عامًا كانت بذرة ترعرعت، وعلاقة حب نمت مع هذه الصحيفة.. والالتزام بالكتابة لصحيفة رصينة وصادقة مثل

الجزيرة يتطلب حقوقًا يجب الوفاء بها، ويضع شروطًا يتعين الالتزام بها؛ فالمسألة إذًا تشريف لا تكليف، فالكتابة رسالة لا وظيفة، والكلمة أمانة، والمساحة رعية!

ومن هنا فقد دخلت في ميدان الكتابة الصحفية وأنا أستشعر حقيقة المسؤولية نحو الصحيفة وقرائها، وقبل ذلك نحو الوطن الذي جعله الله مثابة للناس وقبلة لكل من يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله.

إن القلم سيف يَسَّرَ الله للكاتب حمله، وسَهَّل توجيهه كيفما يشاء صاحبه؛ فطوبى لمن وجهه وجهة خيِّرة، فتلمس هموم مجتمعه، ومواجع أهله، وسلط الضوء على احتياجات الوطن وآمال المواطنين من غير تعريض بمسؤول، ودون تجريح بصاحب حاجة. طوبى لمن حمل القلم وهو يحمل هم الوطن وتطلعات المواطن بموضوعية واضحة، ونية صادقة، ووسطية لا شية فيها، يحفظ للمحسنين إحسانهم ويعترف بفضلهم،

ويلـتمس للمقـصرين العـذر ولا يـسيء الظـن بهـم، إن رضـي شكر، وإن غضب صبر.

إن الكاتـب الـوطني الـذي نبحـث عنـه هـو الكاتـب الـذي ينتمـي للـوطن الكـبير، ولا ينحـصر ولاؤه في إقليميـة ضـيقة ولا طائفية منغلقة، هـو الـذي يقـدِّر إنجازات الـوطن، ويعـرف نعمـة الوحدة، ويدرك عواقب التفـريط بهـا قبـل أن تقـع، لأن العاقـل يبـصر العواقـب الـسيئة قبـل أن تقـع، والأحمـق لا يراهـا إلاّ إذا وقعت!

إنه من يؤلمه كل ما يمس سمعة وطنه ابتداء من رمـي عقـب الـسيجارة علـى الأرض، وانتهـاء بقطـع إشـارة المرور، وإزهـاق الأرواح، إنه المواطن الذي يؤلمه تقصير الموظف الصغير كما يؤلمه تقصير القاضي والوزير.

إن الكاتب الذي حاولت أن أترسم خطـاه وأتبـع منهجـه، هـو مـن لا يرضـى لوطنـه بغـير الجمـال، ولا يتمنـى لـبلاده إلاّ

الارتقاء إلى أقصى درجات الكمال!

ولأن المواطن الصادق هو من يحمل هموم الوطن، ويدعو للخير ويحذر من الضرر، فقد رأيت تسمية هذه الزاوية بـ: (أُهيب بقومي) اشتقاقًا من قول الشاعر:

أُهِيـــبُ بقــومي إلى المكرمــاتِ
فهل من مُلَبٍّ وهـل مـن مُجيـبْ؟

وبعد أن يسر الله لي الكتابة في هذه الزاوية ما يقارب ثلاث سنوات نشرت خلالها ١٢١ مقالة؛ ارتأيت جمع هذه المقالات في كتاب يحفظها للزمن ولمن يرغب الاطلاع عليها، وقد تم تقسيم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام حسب نوع المقالات، فما يتعلق بهموم الوطن اليومية جعلته في القسم الأول وهو هذا الكتاب، وما يهم الباحثين والمؤرخين جعلته في القسم الثاني، وما كان عن أعلام معينين جعلته قسماً ثالثاً، وأصدرته في كتيب بعنوان: (أعلام تشرفت بالحديث عنهم).

آملاً ؛ أن يجد القارئ والمتابع في هذه المقالات ما يجعلها تستحق جمعها.

والله الموفق.

فائز بن موسى البدراني الحربي

الرياض

تحريرًا في ٢٠ صفر ١٤٣١هـ

أهيب بقومي

خواطر بين الذات والوطن

١. التسول في بلادنا ليس وطنيا*

التسول في بلادنا ليس وطنياً وليس سعودياً، ولا علاقة له بالفقر..

نعم؛ نحن لدينا فقراء، والفقر ليس عيباً، وليس سراً، لكن ظاهرة التسول المزمنة في بلادنا لا علاقة لها بمواطنينا، فالمتسولون في مساجدنا وشوارعنا ليسوا من المواطنين، ولا يحملون الجنسية السعودية، وإن شئتم فاطلبوا بطاقات إثبات هوياتهم، أو اسألوا هيئة مكافحة التسول عن نوع جنسياتهم، وتحققوا عن مدى نظامية دخولهم للبلاد وإقامتهم، بل اسألوا رجال المكافحة عن أساليب التمويه والتحايل التي يستخدمها أولئك المتسولون والمتسولات؛ بل اسألوهم عن الأرقام المذهلة للأطفال المخطوفين والمهربين من بلاد مجاورة لاستخدامهم في

* الأحد ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ (١٧/٦/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٦٨٠).

هذه المهنة التي تقوم على النصب والاحتيال وخطف الأطفال الأبرياء وتشويه أجسادهم لأغراض التسول المنظم!

كما أن التسول لا علاقة له بالوافدين والمقيمين للعمل، والدليل على ذلك أننا لا نرى عاملاً مصرياً أو سودانياً أو أفغانياً أو باكستانياً أدمى نقل الحجر كتفيه قد وقف أمام المصلين خطيباً متسولاً وبين يديه طفل معاق أو عجوز مريض يتفنن في عرضه على المصلين، يستدر عطفهم، ويستنزف جيوبهم مستغلاً طيبة قلوبهم وحبهم للإحسان!

كما أن المتسولين المفوّهين الذين نراهم في مساجدنا عقب كل صلاة لا نجد بينهم عاملاً آسيوياً واحداً، مع أن كثيرين من العمالة الآسيوية يعانون من الفقر والجوع، خصوصاً من يسوقه القدر إلى كفيل لا يخاف الله، أو إلى شركة مفلسة، أو مقاول مماطل، فتتأخر رواتبه بضعة شهور، أو قد لا تأتي أبداً.

إذاً فالمتسولون فئة ذات جنسيات محددة اتخذت التسول

مهنة، والمهنة تتطور أساليبها وتتحسن وسائلها وتكبر تنظيماتها!!

لقد ثبتت هذه الحقائق للجهات الرسمية، كما ظهرت لأولي الألباب من المواطنين؛ خصوصاً العلماء الذين حذروا من هذه الظاهرة، وبينوا حكم التسول الذي غزا بلادنا، وشوه شوارعنا ومساجدنا، فقد بَيَّن العلماء عدم جواز إعطاء هؤلاء المتسولين، وأكد على واجب المواطنين في التعاون مع الأجهزة الرسمية لمكافحة هذه الظاهرة، وفي هذا الموضوع يقول فضيلة الشيخ د.صالح بن غانم السدلان عضو هيئة كبار العلماء: "إنه يتعين مكافحة التسول وأن يمنع التسول بكافة أشكاله سواء كان ذلك في المساجد أو الطرقات أو عند إشارات المرور وغير ذلك، وعلى كل الجهات المسؤولة أن تقوم بجهد بعملها الذي يخصها في هذا الجانب.. وأنا أدعو كل مسلم أو مسؤول أن يكافح التسول.. فإمام المسجد عليه أن يمنع التسول في مسجده.." انتهى كلامه.

إن أهم أسباب عجز الجهات الرسمية عن كبح جماح

التسول هو القصور في دور المواطن الذي لا يزال يرى في المتسول إنساناً محتاجاً يتقرب إلى الله فيما يعطيه!

إن هذه النظرة المتعاطفة ينبغي أن تنتهي، وإعطاء هؤلاء المتسولين يجب أن يتوقف حتى نكون عوناً للدولة في فرض سياستها وسيادتها، وتنفيذ إجراءاتها سواء في مكافحة التسول أو غيره.

التعاطف مع التسول غير المشروع تشجيع لهذه الظاهرة!



٢. متى نكون خير أمة؟*

لا يشك المسلم في أن أمة الإسلام التي اختار الله لها الدين القيم هي خير أمة أخرجت للناس ما دامت على هذا النهج القويم شرعة ومنهاجاً، وما دامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لأن في ذلك إصلاح الأرض وصلاح الإنسان.

لكن المسلم اليوم وغير المسلم يتساءل: هل الأمة الإسلامة اليوم هي خير أمة أخرجت للناس؟ هل الفرد المسلم اليوم هو خير الأفراد سلوكاً وفكراً وإنسانية وصدقاً وأمانة وعدلاً ورحمة؟

والجواب إنه ليس كذلك إلا من رحم ربك.. لا نريد مجتمعاً من الملائكة، أو شعباً من صفوة البشر، ولا نقول إن الخيرين لا وجود لهم. لكننا لو نظرنا إلى سلوكيات السواد الأعظم من المسلمين لا نرى أنها تلتزم منهجية الدين الحق، ولا تسير على ما رسمه لها القرآن الكريم والتوجيه النبوي.. فعامة المسلمين اليوم هم أسوأ الأمم سلوكاً

---

* السبت ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ (١٤/٧/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٧٠٧).

أخلاقياً. فالكذب والغش والتحايل ممارسة ظاهرة في تعاملهم في التجارة وفي الوظيفة وفي البيت.. والإخلاف في الوعد والتهاون في المواعيد سلوك يتفوق فيه معظم أبناء المسلمين المعاصرين. أما الإنسانية والرحمة والرفق فيمن تحت اليد من الأجراء والعاملين أو حتى مع الحيوانات فإن سلوكنا ربما يكون أسوأ السلوكيات!

إن المعيار الأخلاقي لنا كمسلمين يظهر في سلوكياتنا وسلوكيات أولادنا وشبابنا الذين يعد سلوكهم امتداداً لسلوكنا وتربيتنا وتعاملاتنا.. فالغش في الامتحانات ظاهرة، والعبث بالممتلكات العامة ظاهرة، وإزعاج الآخرين ظاهرة، وإضاعة الوقت فيما لا يفيد ظاهرة، ورمي المخلفات في الشارع ظاهرة، وعدم الالتزام بالتعليمات الرسمية ظاهرة، والإسراف في الأكل والشرب ظاهرة، والمعاكسات ظاهرة، والسرقة ظاهرة، وضعف التحصيل العلمي ظاهرة.. فهل يدَّعي من تكون هذه سلوكياته وحياته أنه يمثل خير أمة أخرجت للناس؟

وهل يتوقع من هذه حاله أن يُعجب الآخرون بأخلاقه ويحترموا

دينه؟

وهل يتطلع من هذه حاله أن يكون له مكانة متقدمة في العالم المتحضر؟

إلى متى وكثير من المسلمين لا يحملون من الإسلام إلا الاسم والمظهر الخارجي؟ إلى متى ونحن نكابر في هذه المسألة، ولا نراجع أنفسنا، ونعيد حساباتنا، ونعترف بأن من هذه حاله لا يمثل الإسلام ولا يندرج في منظومة من وصفهم الله بخير أمة أخرجت للناس!!



٣. إلى إدارة سكة الحديد*

أُتيح لي أن أسافر بواسطة سكة حديد الرياض - الدمام، وهي الخط الحديدي اليتيم في مملكتنا الغالية رغم اتساع رقعتها وتباعد أطرافها، وكانت تلك هي التجربة الأولى، وأرجو ألا تكون الأخيرة، لأن القطار من أهم وسائل المواصلات وأيسرها في كثير من دول العالم، أما في الدول المتقدمة فالسفر بالقطار راحة ومتعة لأنه يتيح لراكبه من وسائل الأمان ووسائل الترفيه ومشاهدة الطبيعة ما لا تتيحه وسائل النقل الأخرى كالطائرات والسيارات والبواخر..

هذا ما كنت أحدث به نفسي وأولادي وأنا أرتب لهم رحلة في القطار السعودي.. وللإنصاف فإني قد سررت من استقبال موظفي محطة القطار لحسن تعاملهم وحرصهم على إرضاء الزبائن، وتلطفهم مع الركاب، كما أن الرحلة كانت معقولة ولم تتأخر عن

---

* الجمعة ٦ رجب ١٤٢٨هـ (٢٠/٧/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٧١٣).

موعد الوصول إلا بشيء يسير.. لكن الشيء الذي حزّ في خاطري وتمنيت أن إدارة سكة الحديد قد انتبهت له واهتمت به هو نظافة أرض المحطة من الداخل، حيث يلحظ الراكب أن النظافة تنتهي عند حدود صالة القدوم والمغادرة، أما العناية بالمنطقة الجانبية لخط الرحلة وهي المنطقة الواقعة ما بين قضبان الخط الحديدي والسياج المحيط بها من الجانبين فلا وجود لها.. فالعناية بالتشجير مفقودة، والعناية بالنظافة معدومة.. فأكوام المخلفات الصناعية ومخلفات الزبالة لا تكاد تختفي من عين الراكب إذا أطل من الشباك يمنة ويسرة.. وتتضح هذه المخلفات أكثر من نقطة انطلاق القطار من محطة الرياض لعدة أكيال؛ خصوصاً بمحاذاة المنطقة الصناعية..

إن السؤال الذي يتبادر إلى ذهن كل راكب غيور على نظافة بلده وعلى العناية بمرافقه هو: لماذا كل هذا الإهمال؟ هل هو بسبب قلة الموارد؟ أم سوء الإدارة والتخطيط، أم لقناعة المسؤول بعدم أهمية هذا الجانب؟

لا أعتقد أن قلة الموارد هي السبب، لأننا بحمد الله من أفضل الدول في توافر الموارد المالية.. ولهذا لا يملك المرء إلا أن يتساءل: إذا كانت الجهات الحكومية الأخرى ذات العلاقة استطاعت أن تشجر الطرق الدائرية والشوارع الرئيسة ومداخل المدن والقرى، وأن تجعل منها مناطق خضراء جميلة، فلماذا لا تستطيع وزارة النقل تنظيف وتشجير مداخل المدن والقرى التي تعبرها سكة الحديد ولو لبضعة أكيال إذا لم تستطع تحسين الطريق بأكمله؟

أمنية أرجو أن تتحقق بأسرع وقت لأنها ليست صعبة التنفيذ.. ولأنها ستضفي على السفر بالقطار متعة، وسوف ترسم لوحة جميلة لبلادنا تنطبع في ذهن المسافرين بالقطار خصوصاً من غير المواطنين!



٤. رمي المخلفات جناية!*

ظاهرة رمي المخلفات أمام المحلات التجارية، وأمام المطاعم، وأمام المنازل، وفي الحدائق العامة، ومن نوافذ السيارات، ممارسة اعتدنا أن نراها في مدننا وفي صحارينا، وهي سلوكيات أقلّ ما يقال عنها إنها تنافي الدين والتحضر.. بل هي جناية أخلاقية.. ومخالفة شرعية..

كيف لا تكون كذلك وديننا القويم يحض على النظافة ويأمر بإماطة الأذى عن الطريق، وينهَى عن إفساد الأرض والبيئة، وتلويث الماء والطرقات وأماكن الظل التي يستريح تحتها المسافر وعابر الطريق..

أليس جناية رمي المخلفات على المسطحات الخضراء التي أوجدتها الدولة لتجميل المدن ولإيجاد أماكن ذات بهجة يؤمها المواطن مع أسرته للنزهة والاستجمام والمتعة المباحة؟

---

* الجمعة ٢٠ رجب ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧/٨/٣م)، العدد (١٢٧٢٧).

أليس جناية أن تمسي الحدائق والمسطحات المزروعة خضراء وتصبح بيضاء من مخلفات الغوغاء من الشباب والأسر الذين يزرعونها بأنواع الزبالة من بقايا الطعام والورق والبلاستيك وعلب المأكولات والمشروبات؟؟ أليس جناية تلويث الشواطئ والمتنزهات المائية بمخلفات بلاستيكية ومعدنية تضر بالطبيعة وبالإنسان والكائنات البحرية؟؟

إلى متى يظل منظر هذه الممارسة الهمجية، التي تفوقنا فيها على مدن العالم، سلوكا مقبولا ؟

أليست بلادنا التي هي قبلة الإسلام والمسلمين أحق بتطبيق أرقى سلوكيات النظافة والمحافظة على البيئة امتثالا لتعاليم الدين الإسلامي وأخلاقياته الراقية؟

لا أعتقد أن دور المسؤولين ينتهي عند توفير الأعداد الوفيرة من العمالة الآسيوية التي تباشر عملها بإخلاص مع بزوغ كل فجر جديد لتنظيف حدائقنا وشوارعنا من مخلفات الليل، بل إن الدور الأمثل هو منع الهمجية لا معالجة نتائجها!

إن دور عمال النظافة في البلدان الراقية هو رفع النفايات من صناديق التجميع المركزية ونقلها لمكان معالجتها، وليس جمع ما يلقيه المواطن على الأرض بلا مسؤولية!

إلى متى ستوظف الدولة لكل مواطن ومقيم عاملا يتعقب آثاره لينظف دورات المياه بعده، ويرفع المخلفات من الحدائق والمتنزهات البرية والطرق السريعة؟

ليس من الحكمة ولا الحنكة ولا الدين أن تعَوّد الدولة الناس على رمي المخلفات وتتكفل برفعها، لكن الحكمة والحنكة ومقتضيات الشريعة أمور تستلزم أن تقوم الدولة بتوعية الناس، وتعريفهم بمدى خطورة ذلك السلوك وهمجيته وتعارضه مع الشرع ومع الذوق العام.

والخلاصة أن رمي المخلفات جناية لا تغتفر، وعار يوصم به المجتمع السعودي العربي المسلم!



٥. الوطنية: الحفاظ على المنجزات*

إذا كان حب الوطن غريزة لدى كل شعوب الأرض، فإن وطننا يتميز عن كل الأوطان بأنه مهبط الوحي، ومهد الإسلام، وأرض نبي الإسلام التي فيها ولد وفيها توفي، ومنها انتشر نور الحق ليضيء أرجاء المعمورة.. كيف لا يكون وطننا كذلك وفيه قبلة المسلمين وكعبتهم، وفيه مكة والمدينة وكفى بهما فخراً وفضلاً.. وفوق كل ذلك فإن توحيد مناطق الجزيرة وإماراتها وقبائلها المتناحرة في وطن واحد، وتحت راية واحدة وقيادة واحدة من شرقه إلى غربه، ومن جنوبه إلى شماله، إنجاز وطني جبار، يضاف إلى مفاخر بلادنا التي تزيدها فضلاً وفخراً، يجعل محبتها والاعتزاز بها يفوق غيرها من البلدان..

لكن ماذا لو وقف كل واحد منا عند كلمة: الوطنية.. ليبحث في معناها الحقيقي؟ وليعرف ماذا للمواطن وما عليه تجاه الوطن؟

* الاثنين ١٢ رمضان ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧/٩/٢٤م)، العدد (١٢٧٩٩).

لا شك أن الكثيرين منا - والحمد لله - يفهمون معنى الوطنية ويتصرفون وفق مدلولاتها بما يخدم بلادهم وأمتهم، وهؤلاء هم الذين يفخر بهم الوطن ويفخرون به.. غير أن هناك فئة تعتقد أن كل من حمل الهُوُية الوطنية صار مواطناً، وهذا غاية ما في الأمر عندهم!! وإن كان واقع تلك الفئة لا يمت للوطنية بصلة، ولا يدل على أنهم وطنيون حقاً!

إن المواطن الذي يعبث بالممتلكات الحكومية ويسيء استخدام الخدمات العامة، ليس مواطناً مخلصاً وإن تشدق بالوطنية وحب الوطن بملء فيه..

إن ما تبنيه الدولة من مرافق عامة يجب أن يحترمه الجميع، وأن يحافظوا عليه كما يحافظون على ممتلكاتهم الشخصية، وألا يسمحوا ليد العبث والتشويه أن تمتد إليه..

إن مسؤولية المحافظة على هذه الإنجازات والاستفادة منها لا تقل أهمية عن مسؤولياتنا في تحقيق المزيد من الإنجازات وبناء الكثير

من المرافق والخدمات لتواكب مسيرة الخير والتقدم التي نعيشها كل يوم.

إن المواطن الذي لا يحافظ على سيارة الدولة كما يحافظ على سيارته، ولا يهمه مظهر الشارع كما يهمه مظهر بيته، يعاني من خلل في وطنيته.

إن هناك فئة من المجتمع وخصوصاً من فئة الشباب قد تفتقد إلى الروح الوطنية الصحيحة وهي تمارس التشويه من خلال العبث أو الكتابة غير المسؤولة على بعض المرافق والحدائق وجدران المدارس وواجهات المباني العامة والخاصة، بل إن بيوت الله لم تسلم من عبث تلك الفئات، حيث نجد التشويه في دورات المياه، وربما المصليات المنتشرة على الطرق.

إن الاعتداء على حق الطريق كالسير على الأرصفة أو المسارات غير المسموحة، أو تجاوز السرعة المسموحة، أو مخالفة التعليمات الخاصة بمنع التدخين في المطارات والمكاتب، يعد انتهاكاً للأنظمة

وامتهاناً للوطنية.

كما أن عدم مراعاة نظافة الشوارع والطرقات، ورمي المخلفات فيها يُعد من الأذى الذي نهى الإسلام عنه، بل طلب من المسلم إزالته وإماطته عن الطريق.

الوطنية كلمة بسيطة لكن مقتضاها ليس بسيطاً أو محدوداً.. إنها إحساس بالمسؤولية الشاملة تجاه المجتمع والأمة.. إن البلاد تنهض بنهضة أهلها وتحضرهم، وتنحط بانحطاطهم وتخلفهم. وما أصدق قول الشاعر العربي:

متى يبلغ البُنيَان يوماً تمامَهُ

إذا كنت تبنيهِ وغيرُك يَهْدِمُ



٦. طاش.. إيجابيات وسلبيات*

برنامج طاش ما طاش الذي فرض نفسه علينا مع إطلالة كل شهر رمضاني كريم، وكأن هذا الشهر الذي فرض الله فيه الصوم وكتبه علينا كما كتبه على الذين من قبلنا، لم يعد موسماً للعبادة ومراجعة النفس وصرفها عن اللهو وسفاسف الأمور، فقط، بل صار موسماً للقنوات الفضائية تتنافس فيه بعرض برامجها ومسلسلاتها وحفلاتها بمختلف أنواعها، سواء كانت جادة أو هازلة، تراجيدية أو كوميدية، المهم أن تتسابق إلى استقطاب جمهور الصائمين وأطفالهم، وتستقطع أكبر قدر ممكن من أوقاتهم التي كان من المفترض أن تصرف للتقرب إلى الله في موسم من مواسم العبادة..

وكان من أبرز البرامج المحلية التي ارتبطت بشهر رمضان وأطولها استمرارية، وأكثرها صراعاً من أجل البقاء برنامج (طاش ما

---

* السبت ١٦ شوال ١٤٢٨هـ (٢٧/١٠/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٨١٢).

طاش) الذي ارتبط أيضاً بالممثلَين الكبيرين عبدالله السدحان وناصر القصبي.

لا شك أن هذا العمل له إيجابيات ملموسة في نقد بعض الظواهر السلبية في مجتمعنا، ونقد بعض الممارسات الخاطئة في المؤسسات الإدارية والحكومية، لكن له بعض السلبيات وعليه بعض المآخذ التي أود أن أبدي بعضها عسى أن يستفيد منها من يعنيه الأمر!!

الملحوظة الأولى: ضعف جانب السلوك الديني في البرنامج، وأعني به عدم العناية بأساسيات الشخصية المسلمة، ومن ذلك على سبيل المثال، في الحلقة الخاصة بقصة الشرف والمرأة التي ركبت بالخطأ في سيارة رجل أجنبي بالنسبة لها، وما انتهت إليه القصة من تعرض والدها لأزمة قلبية ثم وفاته بين يدي أولاده وأسرته، لا نرى أنه نطق بالشهادة، ولم يقم أحد من المحيطين به بمحاولة تلقينه الشهادة، أو تذكيره بالله، مع أن الشهاة من أساسيات الإنسان المسلم وسلوكياته.

ومن ذلك أيضاً أنه في كثير من المشاهد التي فيها استيقاظ من نوم الصباح، لا نرى إشارة إلى الوضوء، ولا إلى صلاة الفجر.. وقس على ذلك من السلوكيات التي يصعب حصرها!

نحن لا نريد أن ترتبط هذه السلوكيات الإسلامية بشخصية رجال الدين فقط، بل بكل مسلم مؤمن بالله واليوم الآخر، ويعمل بمقتضى قول الحق سبحانه: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾.

الملحوظة الثانية: تجاوز الحدود المقبولة دينياً واجتماعياً في بعض الأحيان، حيث تصل بعض العبارات والمشاهد إلى حد أقل ما يقال فيه إنه يخدش الحياء، ويحرج الآباء مع أطفالهم!

الملحوظة الثالثة: ضعف التجديد والتنويع في الأفكار والموضوعات التي يتناولها البرنامج، فهي تكاد تكون متكررة سنوياً مع بعض الاختلافات البسيطة، علماً أن التجديد مطلوب، والأزمات الاجتماعية التي يمكن تناولها لدينا كثيرة ومتنوعة، ومن ذلك مثلاً

تناول سلوكياتنا في المرور، وتذكير الناس بأبجديات الأنظمة المرورية التي يحترمها العالم مثل نظام دخول الدوار، ونظام التجاوز، ونظام تخصيص المسارات حسب السرعة، ونظام خط المشاة.. وكذلك سلوكيات النظافة إذ ينبغي استثمار هذا التجمهر التلفازي في توعية الناس بشأن أهمية نظافة الشوارع والحدائق والشواطئ والمحافظة على المكتسبات الوطنية.. ومن ذلك أيضاً ممارسات الغش في البيع والتجارة.. وممارسات إخلاف المواعيد، وإهدار الأوقات، وغير ذلك من المظاهر السلبية. تلك التي نعاني منها في حياتنا اليومية في البيت والشارع والعمل!



٧. قيادتنا ورعاية العلم والثقافة*

منذ أن أرسى مؤسس هذا الكيان - رحمه الله- قواعد الوحدة والاستقرار والبناء لهذه البلاد وشعبها، وهاجسه الأول المحافظة على ثوابت الشريعة الإسلامية السمحة، والحفاظ على الأصالة العربية، مع فتح أبواب التحضر والأخذ بأسباب العلوم الحديثة، وإتاحة المجال للفكر الوطني ليتحرر من قيود الجهل، ويخرج من أسوار التخلف والانغلاق، على أسس فكرية واضحة، ورؤية حضارية بعيدة المدى..

وعلى هذا النهج سار أبناؤه الكرام قادة هذه البلاد، فأسسوا صروح التعليم، وفتحوا آفاقاً رحبة للمعرفة، وتابعوا خطط النهضة العلمية، بكل تضحية وإصرار حتى آتت تلك الطموحات ثمارها بما نراه اليوم من مؤسسات علمية وثقافية، جعلت المملكة تتبوأ مكانة رائدة في إثراء المكتبة العربية والعالمية.

---

* الأحد ١٧ شوال ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧/١٠/٢٨م)، العدد (١٢٨١٣).

وإذا كان هذا الاهتمام وهذه الرعاية للعلم والعلماء هي ديدن القادة من آل سعود، فإن الملك عبدالله بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله- له لمسات خاصة، وله نكهة متميزة في هذا الجانب، فقد أولى هذا الجانب جل اهتمامه، مع أن طبيعة عمله قبل أن يصبح ولياً للعهد ثم مليكاً لم تكن قريبة من الوزارات أو الأجهزة ذات العلاقة بالثقافة والتعليم، عندما أمضى سنوات كرئيس لجهاز الحرس الوطني ذلك القطاع العسكري.. ومع ذلك فقد كان له - يحفظه الله- نظرة ثاقبة وطموح مبكر للمساهمة في بناء النهضة العلمية لهذه البلاد المقدسة.. وقد تمثل ذلك في مظاهر عديدة وأعمال جليلة، وبصمات واضحة، ومعالم بارزة رسمتها يد الملك عبدالله بن عبدالعزيز في مسيرة العلم والثقافة في هذه البلاد، وهي أعمال لا يمكن إحصاؤها أو الإحاطة بها في هذه العجالة.

ولعل من أهم تلك الإنجازات الباهرة ما تحقق من تطوير وتنمية للجانب التعليمي في قطاع الحرس الوطني، من خلال خطط رسمها حفظه الله وتابعها خطوة خطوة، حتى أصبح الحرس الوطني ورئاسته

رافداً من روافد التثقيف والتنمية في بلادنا.. وكان ما تحقق من إنجازات تعليمية وخصوصاً في مجال محو الأمية محل إعجاب وتقدير كل مراقب منصف سواء في الداخل أو على مستوى المؤسسات العالمية المهتمة بهذا الشأن.

ومن الأعمال الجليلة والرائدة أيضاً في هذا المجال، مهرجان الجنادرية الثقافي الذي أسسه وتبناه الملك المفدى - يحفظه الله- وأعطاه جل اهتمامه ومتابعته حتى أصبح معلماً ثقافياً وحضارياً من معالم هذه البلاد، لفت إليها أنظار أرباب الفكر والأدب في كل أنحاء العالم، وكان جسر اتصال لنا مع دول العالم بحيث عرفت من خلاله الكثير عن تاريخنا وحضارتنا وأصالتنا.

ومن تلك الإنجازات أيضاً إنشاء مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، التي أصبحت مناراً من منارات القراءة والثقافة، وإشعاعاً من إشعاعات الاطلاع للصغار والكبار، وللقراء والباحثين، وغدت مركزاً علمياً مرموقاً لإصدار المؤلفات وطباعة الكتب، وإثراء المعرفة، والإسهام في حفظ تاريخنا المحلي، حتى أصبحت حاضرة في المحافل العلمية

والثقافية، وتفوقت على الكثير من مثيلاتها سواء على المستوى المحلي أو العالمي.

وفوق كل ذلك يأتي اهتمامه - يحفظه الله- بالعلم والعلماء وإكرامه للمفكرين والأدباء، وفتحه أبواب مكتبه وقصره لهذه الفئة من المجتمع، فضلاً عن تخصيص أيام لمقابلتهم، والاجتماع بهم، والاستماع إليهم، والاستفادة من علمهم، وإشعارهم بالمكانة اللائقة بهم، وكذلك رعاية جلالته لجوائز الدولة التقديرية للعلماء والأدباء، تقديراً وتشجيعاً واحتفاء.

هذه ملامح سريعة، وهي غيض من فيض، أسأل الله العلي القدير أن يحفظ جلالته، وأن يرعاه برعايته، وأن يوفقه لما يحب ويرضى، وأن يحفظ ولي عهده الأمين وكل خيِّرٍ يساهم معهما في قيادة هذه البلاد، وأن يحفظ لبلادنا أمنها واستقرارها، ودينها الذي هو عصمة أمرها.



٨. هل شاخت عروس البحر؟*

جُدَّة هي درة المدن على الساحل الغربي للجزيرة العربية.. مدينة تجمع بين التاريخ العريق والتطور الحديث.. أما من حيث التاريخ؛ فجدة من أقدم مدن الجزيرة العربية، ذكرها معظم المؤرخين المتقدمين، ومنهم أحمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢هـ)، وذكر أنها: "كثيرة التجارة والأموال، وليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها".. وجاء بعده الدمشقي البَشاري فوصفها بأنها: "حصينة عامرة آهلة، أهلها أهل تجارة ويسار"..

ومع ما حظيت به جدة منذ القدم من الثناء على نظافتها وتطورها وتناسق مبانيها، فقد حظيت بالإشارة إلى مشكلة شح الماء العذب ومعاناة سكانها في ذلك وكأن مشكلتها مع الماء مشكلة أزلية، مما كان السبب في عدم ازدهار الزراعة فيها وقلة الخضرة في شوارعها، كما يصفها زوارها المتقدمون، وكأن التاريخ يعيد نفسه هذه الأيام

* الثلاثاء ١٩ شوال ١٤٢٨هـ (٢٠٠٧/١٠/٣٠م)، العدد (١٢٨١٥).

كلما تفاقمت مشكلة نقص المياه العذبة ومعاناة سكانها من ذلك.

ولن أتوسع هنا في الحديث عن تاريخ جدة، إلاَّ أنني سأتحدث عن جدة المعاصرة التي نالت بجدارة لقب عروس البحر، بازدهارها التجاري والعمراني، وحيويتها وحركتها التي لا تكاد تهدأ على مدار الساعة؛ لكونها بوابة مكة المكرمة، ومحط القادمين إليها بحراً وجواً من شتى أنحاء المعمورة، فضلاً عن شهرتها التجارية التي غلبت على سكانها حتى قال أحد أدباء المدينة عندما نفي إلى جدة قبل بضعة قرون:

وجـــدت جُـــدة للتجـــار صـــالحة
وللمفـــاليس دارُ الهـــم والـــضيقِ
فهـا أنـا ضـائع مـا بـين سـاكنها
كمـصحفٍ ضـائع في بيـت زنـديقِ

لقد آلمني ما وصل إليه حال بعض أحيائها من عشوائية، وما يعانيه سكانها من شح المياه المحلاة مع أنها مدينة ساحلية تنام على رطوبة البحر، وتستيقظ على صخب أمواجه البيضاء.

كما آلمني ما وصل إليه الحال فيها من الازدحام الخانق ومن كثرة الحفر والتشققات التي شوهت الكثير من شوارعها بما فيها طرقها الجميلة وشرايينها الرئيسة التي كانت مضرب المثل في الجمال والأناقة والاستقامة.. ولهذا لا أملك إلاّ أن أتساءل مثل كثيرين غيري: هل شاخت عروس البحر؟ وهل يسمح لها المسؤولون عن شؤونها أن تشيخ وهي في أوج نضارتها وحيويتها وركضها نحو التوسع والأزدهار؟؟



٩. من يحمي لغتنا من جهل الخطاطين؟*

يقول العرب: حسن الخط مفتاح الرزق.. وهذه عبارة جليلة المعنى، فالخط مهنة سامية، وجماله موهبة تفتح لصاحبها أبواب الرزق.. والخطاطون المهرة هم الذين كان لهم شرف نسخ كتاب الله وما أعظمه من شرف.. كان هذا عندما كان الخط فن له أصوله وقواعده وأخلاقياته.. أما اليوم فالخط حرفة يمارسها من لا يعرف قواعدها، منذ أصبح مهنة العمالة الوافدة يشترك فيه الخطاط والدهان والعربي وغير العربي، في زمن غابت فيه الغيرة على اللغة.. ولهذا تتعرض لغتنا العربية الجميلة للتشويه والإساءة، وهي التي اختارها الخالق الكريم لتكون لغة كتابه العزيز الذي أنزل على صفوة خلقه (عليه الصلاة والسلام) ليبلغ خاتمة الأديان السماوية إلى الناس كافة وإلى أن تقوم الساعة.. ولو نال هذا الشرف لغة أخرى لرأينا

* الثلاثاء ٢٦ شوال ١٤٢٨هـ (٦/١١/٢٠٠٧م)، - العدد (١٢٨٢٢).

كيف يتفاخر أهلها بلغتهم، وكيف يحافظون عليها ويدافعون عنها، ولرأينا كيف يقدسونها ويتشرفون بها..

أما نحن العرب، خصوصاً في عصور التخلف والانحطاط، فقد أضعنا الكثير من المزايا التي وهبنا الله إياها، وفضلنا بها على غيرنا، ومن أهمها لغتنا العربية التي وصفها الله بالفصاحة والبيان، قبل أن يصفها أرباب الكلام واللسانيات...لكن هذه اللغة العظيمة تمتهن اليوم في الفصل وفي الشارع، وعلى قارعة الطريق، من خلال اللوحات الإرشادية، ومن خلال اللوحات الإعلانية، ومن خلال الإعلانات المرئية والإذاعية..

من منا لم تطالعه لوحات على الطرق السريعة مكتوب عليها: (صلي على النبي..).. و(أذكر الله).. و(إشتري علبة واحصل على الثانية مجاناً).. و(معبر جمال) و(إنتبه).. و(منتزه الواق واق).. و(إتصل على تلفون....).. وأما في المكاتب والإدارات فمن منا لم يطالع: (قسم المشتروات).. و(ممنوع التدخين).. و(إنتظر) و(صالة الإنتظار) ...إلخ.

وأعرف أن من لديه أدنى إلمام واهتمام بلغته يعرف أن صواب تلك العبارات هو: صلِّ على النبي، لأن فعل الأمر يبنى على حذف حرف العلة، ولأنها بإثبات الياء تكون للمخاطبة وليست للمخاطب، وكأننا لم نعد نفرق بين خطاب التأنيث والتذكير منذ أن قبلنا: (أنت فيه معلوم) وأخواتها.. وأن: أذكر الله، صوابها: اذكر الله، وأن: إشتري، فيها خطآن، وصحتها: اشترِ، فإثبات الهمزة خطأ، وإثبات الياء في فعل الأمر خطأ آخر. و(إنتبه) صوابها: انتبه، و(منتزه) صوابها: متنزه، و(إتصل) صوابها: اتصل، وأما (التلفون) فصوابها: الهاتف، و(ممنوع التدخين) صوابها: التدخين ممنوع، و(المشتروات)، صحتها: المشتريات، لأنها من اشترى يشتري، وليست من اشترى يشترو. وأما (معبر الجمال) فصوابها: معبر الإبل، أو المواشي، فهو ليس معبر لذكور الإبل دون إناثها.. وإنتظر، وإنتبه، والإنتظار، صوابها: انتظر، وانتبه، والانتظار.

هذه أمثلة سريعة لأخطاء تطالعنا أينما نذهب، ونشترك جميعاً في ارتكابها، لأننا لا نعيرها اهتماماً، ولا نحاسب الخطاطين، ولا

نسائل أصحاب الإعلانات التجارية الذين لا يهمهم إلاَّ الكسب المادي حتى لو كان على أشلاء لغتنا، وعلى إعوجاج ألسنة أطفالنا وشبابنا..

ولنسأل أنفسنا ماذا لو أخطا الخطاط وزاد حرفاً أو نقص حرفاً في اللغة الإنجليزية أو الألمانية أو الفرنسية أو التركية أو لحن في قواعد اللغة، فهل سيقبض ثمن لوحته ؟.

إنها هموم لا يعانيها إلاَّ الغيور على لغة القرآن ولغة الأمة، الذي لا تحتمل أذنه تلك العبارات الممجوجة، أما الجاهل بلغته وفضلها فلا يعنيه ذلك ولا يؤرقه، لأن الجهل نعيم لصاحبه على حد قول الشاعر:

ذو العَقلِ يَشقى في النَعيمِ بعَقلِهِ
وَأَخو الجَهالَةِ في الشَقاوَةِ يَنعَمُ



١٠. فيروس نقص الوطنية! *

(فيروس) كلمة لاتينية معناها السم.. والفيروس مخلوق جزيئي لا يُرى بالعين المجردة، ومع أنه متناهي الصغر إلاّ أن فتكه عظيم الأثر، شديد الخطر.

وكما أن الفيروس يصيب الأبدان فإن هناك أنواعاً متعددة من الفيروسات تصيب العقول والنفوس وتدمِّرها، وهي أخطرها.

وإذا كان الفيروس يجعل الجسم غير قادر على صدّ ناقلات الأمراض، ويضعف المقاومات الدفاعية التي أوجدها الله في الجسم البشري، فإن فيروس نقص الوطنية يجعل المصاب عرضةً لتقبل الدعايات المغرضة ضد بلده، ويجعله فريسة سهلة للمتربصين بوطنه وأمته!

وفيروس نقص الوطنية عبارة عن جرعة من الأفكار المسمومة يزرعها أناس مصابون بالعلة نفسها، فينتشر مرضها ويكون ضحاياه

* الثلاثاء ٢ ذو الحجة ١٤٢٨هـ (١١/١٢/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٨٥٢).

عادة صغارَ السن وسفهاءَ الأحلام ممن لا يميزون بين الجمرة والتمرة، خصوصاً إذا ترعرعوا في بيوت غير محصنة من هذا الداء الفتاك..

كما أن ذلك الفيروس يفتك أيضاً بأنصاف المتعلمين؛ لأن الجاهل قد يدرك أنه جاهل، أما من وضع رجله على العتبة الأولى من سلم التعليم فالغالب أنه يصنف نفسه في عداد المتعلمين حتى وإن لم يكن كذلك!

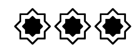
أما أعراض مرض نقص الوطنية فأولها كثرة التذمر من الحياة، والشكوى من الظلم والاضطهاد وضياع الحقوق، والاعتقاد بغياب العدل، وسوء الظن بالآخرين، وعدم الرضى عن كل شيء؛ فالمريض بفيروس نقص الوطنية ينظر إلى المسؤولين على أنهم غير أكفاء، ويرى الناجحين على أنهم انتهازيون، ويرى الأثرياء على أنهم سارقون، ويرى المؤرخين مداهنين، والشعراء منافقين، والصحافيين مرتزقين!

وإذا حاولت أن توضح له أن تصوراته خاطئة، اتهمك بأنك أنت المعتوه؛ لأنك تنكر وجود الأخطاء، وتحسن الظن بالآخرين، وأنك إما مستفيد مداهن، وإما أنك على نيَّاتك.

والحقيقة أن الشر موجود، والخير موجود، لكن حسن الظن خير من سوء الظن، والعاقل يدرك أن المثالية المطلقة والكمال المطلق لا يتحققان إلاَّ في مجتمع من الملائكة.. وبمعنى آخر: فالمصاب بفيروس نقص الوطنية يرى الشر ولا يرى الخير، فهو كما قال الشاعر:

الـــذي نفـــسه بغـــير جمـــالٍ
لا يـرى في الوجـود شـيئاً جمـيلا

لكن أشد حالات هذا المرض هو أن يرى الإفساد إصلاحاً، وأن يعدّ الإرهاب جهاداً!!



١١. إلى بعض مذيعات بني يعرب!*

«الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها».. أتذكّر هذا القول كلما نظرت إلى الكثير من مذيعات بني يعرب على شاشات القنوات العربية، وهن يتنافسن بعرض أكبر قدر ممكن من أجسادهن، ويتبارين في إظهار أجزاء من أثدائهن!!

إذا كان هذا التنافس تفرضه متطلبات الوظيفة التلفزيونية فعلى ذلك المثل العربي السلام، لأن عرض الأجساد بتلك الصورة يعني أن الحرة – في هذا العصر – قد تحتاج لثدييها كي تجلب الجماهير لقناتها.. والمصيبة أن عدوى هذه الظاهرة لم تقتصر على المذيعات والممثلات، بل انتقلت إلى الكثير من نسائنا في بيوتهن واحتفالاتهن؛ فأصبح إظهار أكبر قدر من الجسم موضة تتبارى فيها النساء في المناسبات والاحتفالات (الحريمية) مثل حفلات الزواج وما شابهها، حيث يظهر بعضهن في الفرح بصورة تخجل حتى بنات جنسهن!

* الثلاثاء ٥ ذو الحجة ١٤٢٨هـ (١٤/١٢/٢٠٠٧م)، العدد (١٢٨٦٠).

لا أجد تفسيراً لهذه الظاهرة إلاّ التقليد الأعمى، وضعف الحياء، والتساهل بتعاليم الدين، وتخاذل أولياء الأمور الذين لم يبق من عروبتهم إلاّ مفاخرات قبلية لا تستند على مكانة عربية عالمية تبعث على الفخر والاعتزاز في زمن التبعية والانهزام السياسي والأخلاقي! والمصيبة أن يوجد هذا في مجتمعنا السعودي خاصة.. فلا العروبة عروبة، ولا الدين دين، ولا الحرة حرة إلاّ من رحم ربك.. ولست أعمم هنا، فهناك فئة من نساء العرب والمسلمين - بحمد الله - لا ينتهجن هذا النهج، ولا تستهويهن هذه الموضة الدخيلة على مجتمعنا.. فهن يدركن أن التعرّي ليس تقدماً، وأن التستر ليس تخلفاً، وأن المرأة المسلمة زينتها الحياء، وجمالها الحشمة، ووقارها في اللباس الإسلامي المعتدل الذي هو حالة وسط بين التعرّي الظاهر، والتستر المتكلّف!!

كما يدركن أيضاً أن ما نعيشه من نعمة ورغد في العيش يوجب علينا أن نقابله بالشكر والعرفان لا بالجحود والنكران، وأن ما

نحن فيه من بحبوحة من العيش ليس مضمون الدوام، ولا مأمون الزوال، وما أجمل قول أبو الفتح البستي (ت ٤٠٠هـ):

لا تحسبن سروراً دائماً أبداً

من سرَّه زمن ساءته أزمانُ

وكل كَسْرٍ فإن الله يجبره

وما لكسر قناة الدين جُبرانُ

وأخيراً؛ فإنه من الإنصاف أن نشيد بمذيعات عربيات مسلمات أصبحن مضرب المثل في الحياء والحشمة، كما أنه من العدل والإنصاف أيضاً أن نشيد بسلوك المذيعات المسلمات في القنوات الإسلامية سواء كانت سنية أو شيعية، اللاتي التزمن بلباس إسلامي محتشم، أضفى عليهن الكثير من الاحترام والوقار:

فمن تكن حلة التقوى ملابسه

لم يخش في دهره يوماً من العطلِ



١٢. الأمر السامي رقم ٧-٧٨م!*

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن تفاقم مشكلة التدخين، وارتفعت وتيرة الأصوات المحذرة من آفة التدخين، بعد أن ظهرت دلائل على زيادة أعداد المدخنين خصوصاً في أوساط الشباب وصغار السن..

وتؤكد المصادر المحلية أن مؤشرات التدخين لدينا قد وصلت إلى مستويات خطيرة جداً تحتاج إلى قرارات حاسمة وحازمة بعد أن وصل عدد المدخنين عندنا إلى أكثر من ٦ ملايين شخص غالبهم من فئة الشباب الأقل من ٢٥ سنة، وبلغ عدد من يموت لدينا سنوياً نتيجة لمضاعفات التدخين أكثر من ٢٣ ألف مواطن.

وغني عن القول أن كثيراً من الدول المتقدمة في أمريكا وأوربا واليابان قد تنبهت إلى أخطار التدخين، وسنت قوانين يتم تطبيقها بصرامة وفعالية أسهمت في التقليل من المخاطر الصحية والبيئية للتدخين تتزامن مع حملات توعية ناجحة أدت أيضا إلى تناقص عدد

---

* الثلاثاء ٣ محرم ١٤٢٩هـ (١١/١/٢٠٠٨م)، العدد (١٢٨٨٨).

المدخنين، في الوقت الذي تتزايد فيه أعدادهم في الدول الفقيرة والنامية..

ومن الجدير بالذكر هنا أن مجلس وزراء الصحة لدول مجلس التعاون الخليجية قد اتخذ عدداً من القرارات التي تصب في محاربة التدخين وكان من أهمها:

- منع الإعلان عن التبغ أو الترويج له بجميع وسائل الإعلام، عام ١٩٧٩م.
- منع قيام الشركات المنتجة أو الموزعة للتبغ برعاية المسابقات الرياضية وإلزامها بوضع العبارة التحذيرية على علب السجائر وعدم بيعه على الطائرات، عام ١٩٨٠م.
- رفع التعرفة الجمركية على التبغ وإدخال التوعية بأخطار التدخين ضمن المناهج التعليمية، عام ١٩٨٠م.
- تحديد الحد الأعلى المسموح من القطران بما لا يزيد عن ١٥ ملجم، والنيكوتين ١ ملجم للسيجارة، عام ١٩٨١م، ثم خفضها إلى ٨ ملجم و١٢ ملجم سنة ١٩٨٧م.

- وقف تراخيص إنشاء وتشغيل المقاهي التي تبيع النرجيلة والشيشة، عام ١٩٩٤م.
- زيادة التعرفة الجمركية على التبغ إلى ١٥٠٪، عام ٢٠٠١م..

ومع أن الخطوط الجوية السعودية قد نجحت في منع التدخين على طائراتها تنفيذاً لتلك القرارات، إلا أنها لم تسيطر على صالات مطاراتها؛ خصوصاً في مناطق استلام العفش، حيث أن راكب السعودية ما أن يصل إلى منطقة استلام العفش حتى يشعل سيجارته متجاهلاً كل لوحات (ممنوع التدخين) المعلقة في كل مكان وزاوية من صالات المطار، وكأنه ينتقم من منعه من تلويث الجو بتلويث الأرض.

ولأن الشيء بالشيء يذكر فإن من أهم القرارات المحلية في هذا المجال الأمر السامي رقم ٧- ٧٨ م وتاريخ ١٦- ١- ١٤٠٤هـ الذي ينص على منع التدخين في مكاتب الوزارات والمصالح الحكومية والمؤسسات العامة وفروعها وكافة الوحدات التابعة لها، ووضع لوحات تحمل عبارات المنع، ومتابعة تنفيذ ذلك بكل دقة.. إلا أن هذا القرار لا

يزال بحاجة إلى مزيد من الجدية والحزم في تطبيقه..

ومن الطرائف أن قرارات الحد من التدخين لدينا ربما تكون قد سبقت قرارات أمريكا وأوربا، فقد اطلعت على تعميم صادر من قاضي سدير الشيخ عبدالله العنقري مؤرخ في ١٣- ٨- ١٣٦٠هـ موجه إلى أمراء منطقته؛ جاء فيه: "....وكذلك ذكر لنا أنه يوجد من يبيع التنباك، فألزمنا النواب بالبحث عنه وتأديبه بما يردعه ويردع أمثاله".

ختاماً؛ التدخين ليس حرية شخصية، لأنه لا يلوث بيئة المدخن فقط!!



١٣. الفقر ليس السبب في الجريمة!![*]

مع إيماننا بما حققته الجهات الأمنية من إنجازات مشرِّفة في مجال مكافحة آفة الإرهاب العالمية؛ وما تقوم به من جهود كبيرة في ميدان حفظ الأمن العام ومكافحة الجريمة، إلاَّ أنه ينبغي الاعتراف بأن هناك قصوراً في بعض الجوانب الأمنية، حيث يلحظ أن زيادة أعداد الأفراد والآليات الأمنية لا توازي زيادة عدد السكان، ولا تتناسب مع زيادة أعداد الجرائم والمخالفات، فضلاً عن عدم تطوير كفاءة أفراد الأمن بما يتلاءم مع تطور أساليب الجريمة المنظمة..

كما أن مما ينبغي التنبه إليه أيضاً أن الجهات الأمنية لا ينبغي أن تتحمل المسؤولية وحدها، بل إن جهات أخرى تشترك في المسؤولية مثل وزارة التجارة إذ أن المواطن يشكو من قصور الرقابة على الأسعار والتقصير في حماية المستهلك، ووزارة العمل إذ أن نقص

---

* السبت ١١ محرم ١٤٢٩هـ (١٩/١/٢٠٠٩م)، العدد (١٢٨٩٦).

الوظائف وعدم رفع مهارات العمل يؤدي إلى تزايد أعداد العاطلين، والبطالة قرينة الفقر والفراغ، ولا شك أن ذلك يسهم في الانفلات الأمني ويزيد الأعباء على الجهات الأمنية..

تفيد الإحصاءات المحلية أن عدد الحوادث الجنائية بشتى أنواعها (القتل العمد والخطأ، محاولة القتل، الانتحار، الأخلاقية، السكر، التزوير، الانتحال ...إلخ)، قد بلغ (٢٧,٣٠٣) حادثة في عام ١٤١٤هـ، في حين تضاعف هذا العدد ثلاث مرات خلال عشر سنوات ليبلغ (٨٧,٠٢٧) حادثة عام ١٤٢٤هـ. ولا شك أن هذه الزيادة تفوق الزيادة الفعلية في عدد السكان خلال المدة نفسها.

ويرى كثيرون أن ارتفاع أسعار السلع المعيشية والمواد الضرورية لحياة الإنسان مثل السيارات والمعدات والأدوات المنزلية يزيد معاناة ذوي الدخل المحدود، ويضاعف أعداد الفقراء، ويعمق الهوة بين طبقات المجتمع، ويُشعر المعوزين والمعدمين بأنهم فئة مسحوقة.. والأخطر من ذلك - كما يرى أولئك المنظرون - أن اتساع الهوة بين الأغنياء

والفقراء يفتح باب الشعور بالإحباط واليأس وتدني المعنويات الوطنية والاجتماعية مما يؤثر على المستوى الأخلاقي للطبقة الفقيرة، وهذا ما يفسر - في نظرهم - تزايد أعمال السرقات والجرائم الجنائية كالسلب والاغتصاب وما شابهها، وربما التنازل عن الكرامة وبيع الأعراض من أجل الحصول على المال.. وقد علّمنا الإسلام أن الفساد منبعه ضعف الوازع وغياب الرادع.

والذي أود أن أقوله إن الفقر وحده لا يبرر الانحدار الأمني الذي نشهده في السنوات الأخيرة؛ خصوصاً ما يتعلق بتزايد جرائم السرقة، وتفشي ممارسة السلب والاختطاف في وضح النهار، مما كان غير مألوف في مجتمعنا السعودي منذ إعلان توحيد البلاد على يد المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله.

والذي يعتقده كثير من علماء الاجتماع وذوي العلاقة بدراسة الشؤون الأمنية أن مجتمعنا يمر بتحولات اجتماعية وأخلاقية خطيرة لا ينبغي ربطها بالوضع الاقتصادي وحده.. والدليل أن أجدادنا بعد

توحيد المملكة مروا بحالات من الحاجة والعوز والجوع وانعدام الخدمات الأساسية لم نصل إليها، ومع ذلك فقد كانت نفوسهم عزيزة، وأخلاقهم راقية، وكرامتهم محفوظة، وأعراضهم مصونة.. وكان الجانب الديني والخلقي لديهم مانعاً بينهم وبين السقوط في أوحال الجريمة، وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن المؤمن لا يسرق!



١٤. المبالغة في المسابقات تخدم البروتوكولات!*

غني عن القول أن ما يُطلق عليه بروتوكولات حكماء بني صهيون، هو تخطيط خطير تفتق عنه الذهن الصهيوني للسيطرة على العالم وبناء مملكة صهيون الكبرى.. والهدف المحدد لتلك الخطة هو تدمير الفكر البشري غير الصهيوني من خلال ضرب الأديان من الداخل تارة، ومن الخارج تارة، وتعطيل علماء الأديان الأخرى من تأدية رسالتهم، ووقف تأثيرهم على معتنقي تلك الأديان!

أما السياسة فتقرر تلك البروتوكولات تدميرها من خلال وسائل عديدة من أهمها إشغال الساسة بمشاكل داخلية تعيق تقدمهم وتشتت جهودهم، ومن ثم السيطرة عليهم وعلى قراراتهم التي يجب أن تكون متماشية مع أهداف البروتوكولات السرية، أما

* الثلاثاء ٢٧ محرم ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٢/٤م)، العدد (١٢٩١٢).

المفكرون والمثقفون فيمكن إشغالهم بابتكار نظريات وشعارات يسبحون في بحرها الذي لا شاطئ له!!

أما الدهماء فمن السهل إشغالهم بشعارات وهمية مثل المطالبة بالحرية والمساواة والعدل، مع اعتراف حكماء بني صهيون أن تلك الشعارات لا يمكن الوصول إليها لأن طبيعة الحياة البشرية لا يمكن أن تتحقق فيها المثالية المطلقة بسبب طبيعة البشر التي خلق الله الناس عليها، وفضل بعضهم على بعض، وجعل الشر والخير قطبان يتصارعان إلى يوم القيامة.

ولم تكتفِ البروتوكولات بذلك بل أكدت على إشغال الجماهير بالمسليات والمسابقات، حيث جاء في أحد بروتوكولات مخططي بني صهيون ما نقتطف منه: "…. ولكي تبقى الجماهير في ضلال لا تدري ما وراءها وما أمامها، ولا ما يُراد بها؛ فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانهم بإنشاء وسائل المباهج، والمسليات،

والألعاب المليئة بالمرح، وضروب أشكال الرياضة واللهو، وما به الغذاء لملذاتها وشهواتها...إلخ".

وينقل د. مصطفى محمود في كتابه: (وبدأ العد التنازلي) مقتطفات من خطاب الحاخام عمانويل رابينوفتش الذي ألقاه في المؤتمر اليهودي الاستثنائي المنعقد في بودابست سنة ١٩٥٢م، ومن ذلك قوله: "... لا خوف من ظهور الوعي المضاد عند الشباب، فإن الشباب يمكننا إغراقه بالمخدرات والجنس واللهو والفن الداعر والأفكار المتطرفة، ويمكننا تمزيقه وتشتيته في المتاهة الخلافية، فلا يعود يجتمع اثنان على رأي.. ثم نضرب الطبقات بعضها ببعض، ونثير الفقير على الغني، والخادم على مخدومه، والمرؤوس على رئيسه، ونثير الفتن بين الدول، ونوسع شقة الخلاف بينها، ونثير الخوف عند كل طرف من الآخر".

ولا أعتقد أن ما نشاهده هذه الأيام من توجه عارم إلى إقامة مسابقات متنوعة ومبتكرة قد ورد النص عليه في تلك

البروتوكولات؛ لكن تلك الظواهر والمبالغة في الإعداد لها وجذب الجماهير إليها على النحو الذي وصلت إليه الحال، أمور قد تخدم أهداف واضعي تلك البروتوكولات أكثر مما كان يطمح إليه دهاة بني صهيون، ويحقق لهم أكثر مما كانوا يخططون له!



١٥. السرقة من أجل التفحيط*

تحدثتُ عن السرقة في مقال سابق بعنوان: (الفقر ليس سبباً للجريمة)، وقد اتصل البعض مبدياً وجهة نظره التي لا تتفق مع ما ذكرتُ، ومصراً على علاقة الجريمة بالحاجة والفقر.. ولكي أوضح وجهة النظر التي طرحتها أعود للموضوع المشار إليه، وهو أن آباءنا وأجدادنا بعد توحيد المملكة واستقرارها على يد موحد الجزيرة - رحم الله الجميع - مرُّوا بسنوات عجاف قاربت نصف قرن قبل أن تتحول بلادنا إلى دولة من أغنى دول العالم. وما أصدق قول الحق: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾.

أقول ومع ما مرَّ به جيل الآباء والأجداد من الفقر والفاقة والعدم الذي وصل ببعضهم إلى حد الموت جوعاً، أو الموت عطشاً، أو الموت برداً، حتى أكلوا ما لا يؤكل مثل الجلود والنوى والنبات وربما الميتات، ومع ذلك فقد كان مجتمعنا مضرب المثل في الأمن وفي نبل

* الخميس ١ صفر ١٤٢٩هـ (٧/٢/٢٠٠٨م)، العدد (١٢٩١٥).

الأخلاق، وعفة اليد واللسان والفرج..

نحن لا ننكر ما كان سائداً في الماضي البعيد من ممارسة الغارات والسلب والنهب، لكن ذلك كان عُرفاً أخلاقياً جاهلياً ونظام حياة خاطئ توارثه القوم لغياب السلطة التي تقيم العدل وتحفظ للناس حقوقهم، وقد زال ذلك عندما زالت أسبابه بقيام الدولة وانحسار الجهل.. أما ما يحدث اليوم فهو مختلف تماماً، حيث نرى من شباب هذا الجيل من يسرق سيارة من أجل التفحيط، ومن يقتحم المدارس والبيوت من أجل العبث بأشيائها، ومن يجوب الشوارع بسيارته الفارهة ليمارس أنواعاً من العبث الأخلاقي والتحرش بالنساء أو إيذاء الآخرين، ومخالفة الأنظمة المرورية بكل فوضوية.

لقد ثبت لدينا أن التسول والمتسولين الذين يجوبون الشوارع لم يخرجهم الفقر والجوع، بل إن معظمهم - إن لم يكن كلهم - قد أخرجتهم عصابات تمارس جمع الأموال بطرق ملتوية تستغل فيها هؤلاء الضعفاء، وتستثمر المحتالين ومعظمهم متسللون أو متخلفون

لا يحملون إقامات نظامية ولا أوراق ثبوتية.. كما اتضح أن سرقة الكيابل والمعادن والآلات الثقيلة من شوارعنا ومزارعنا، وتمرير المكالمات الهاتفية المختلسة، يقوم بها في الغالب عصابات من العمال من جنسيات معينة..

أما ممارسة الرشوة والاختلاسات المالية - وإن كانت لا تعد ظاهرة في بلادنا ولله الحمد - فإن من يقوم بها موظفون أو مسؤولون أو سماسرة لم يجبرهم الفقر أو الجوع على ذلك، وإنما تجرأ الكثير منهم على تلك الممارسة لضعف الوازع الديني والأخلاقي!

بل إن الشاب المدلل الذي لا يبالي بقطع الإشارة أو السير بعكس اتجاه الشارع، أو اقتحام الأرصفة بسيارته وتشويه الممتلكات العامة، كل ذلك يدخل في التعدي على الحق العام، وبمعنى آخر فهو سرقة في وضح النهار لأنه مصادرة لحقوق الآخرين، وتطاول على حقوق الدولة وأنظمتها!



١٦. ليتني أستطيع الفرح![*]

(أمجاد يا مصر أمجاد)، و(الفرح يغرد في العواصم العربية)، هاذان عنوانان رئيسان من عناوين كثيرة وكبيرة توشحت بها الصحف العربية في الأيام القليلة الفائتة.. نعم لقد سهرت تلك العواصم حتى الصباح، والسبب فوز منتخب مصر ببطولة أفريقيا لكرة القدم.. وأقول هنيئاً للمنتخب المصري، وهنيئاً لمحبي كرة القدم في ذلك البلد الشقيق..

من حق جمهور المنتخب المصري أن يفرح، ومن حق الجماهير العربية أن تفرح لفرحه.. ولكن هل تستحق المناسبة كل هذا الفرح العربي، وكل هذه النشوة اليعربية؟

هل وصل الأمر إلى أن تسهر الجماهير إلى الصباح؟ وهل تستحق المناسبة أن تتسابق بعض العواصم العربية الأخرى على إحياء الأفراح والليالي الملاح احتفاء بهذا النصر العظيم؟

لا أريد من الشعوب العربية أن تتخلى عن الفرحة، ولا أطالبها

---

* السبت ٩ صفر ١٤٢٩هـ (١٦/٢/٢٠٠٨م)، - العدد (١٢٩٢٤).

بـأن تتحلـى بالكآبـة والأحـزان نتيجـة مـا تعيـشه الأمـة مـن أوضـاع مترديـة.. لكنني أريد أن أقول إن حجم الفرح أكبر من حقيقة الإنجاز!

لقد آلمني أن يعلـن تقريـر حكومـي مـصري في اليـوم التـالي بعـد تلـك الليلـة الـساهرة مـا مفـاده، ارتفـاع معـدلات التـضخم في أسـعار الـسلع في مـصر علـى نحـو كـبير خـلال شـهر ينـاير - بدايـة العـام الجديـد - حيـث زادت أسـعار الخبـز والحبـوب بمعـدل ٣٥٪، والألبـان والأجبان والبيض بـ ١٧٪ والدهون والزيوت بـ ٢٦٪، والمنتجات الغذائيـة الأخرى بـ ٢٤٪، والأسماك بـ ٩٪، واللحوم بـ ٧٪.

كنت سأنضم إلى مواكب الأفـراح، وأسـهر مـع الـساهرين إلى الصباح لو أن مصر العظيمة استطاعت أن تعلن الانتصار على واحدة مـن مـشكلات الأمـة الـتي تجـثم علـى صـدر الـشعب المـصري خـصوصاً والـشعب العربـي عمومـاً، لأن انتـصار مـصر انتـصار للأمـة العربيـة والإسلامية، وقوتها قوة للأمة، وضعفها ضعف لها..

كنـت سـأفرح لـو أن مـصر الـتي أفرحـت العـرب عـام ١٩٧٣م بتحطيمها لأسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر، أعلنت عن تدشين

سلاح جديد يحفظ لها هيبتها العسكرية ويردع إسرائيل عن تشدقها بأنها تستطيع ضرب أي منشأة عربية مختارة بطائراتها الحربية دون أن يفكر العرب بأي رد غير الشجب والاستنكار!

كنت سأفرح لو أن قيادة مصر الحبيبة أعلنت عن زعامتها للأمم الأفريقية كقوة اقتصادية أو سياسية.. كنت سأفرح لو أن مصر النيل أعلنت عن تحقيق الاكتفاء الذاتي زراعياً وتوقفت عن استيراد المواد الغذائية الأساسية، وحققت للشعب المصري الأمن الغذائي.. كنت سأفرح لو أن مصر العظيمة أعلنت عن فوزها بكأس الحرب على البطالة وأغلقت آخر ملف من ملفات العاطلين عن العمل.

أما أن تحقق مصر كأس أفريقيا في كرة القدم في الوقت الذي تعلن فيه إسرائيل أنها انتهت من تجربة ناجحة لأحدث صاروخ بالستي يحمل أعتى الأسلحة الجرثومية والبيولوجية ويصل مداه ٤٥٠٠كم، فلن أصفق مع القطيع!.



١٧. أنشودة الوفا..بين عنيزة والغضا*

عنيزة مدينة حالمة تقوم على أنقاض بلدة عريقة، وتحتضنها الرمال الذهبية الموشحة بأشجار الغضا من الغرب، ويطل عليها جال عنيزة من الغرب، ويحفها مجرى وادي الرمة من الشمال، لتختال بطبيعتها الفاتنة، وتتباهى بموقعها المميز كواسطة العقد بين مدن القصيم الخضراء.

في يوم السبت الثاني من شهر صفر الحالي - ١٤٢٩هـ - كنت في زيارة لعنيزة لقضاء إجازة نهاية الفصل الدراسي الأول، والتمتع بمهرجان الغضا ٢٩ بدعوة كريمة من سعادة محافظ عنيزة المهندس مساعد السلَيْم الذي ينقل عدوى عشق عنيزة إلى كل من زاره أو قابله.. وليس عشق عنيزة جديداً عليَّ وهي مسقط رأسي ومرابع طفولتي وصباي:

* الأحد ١٠ صفر ١٤٢٩هـ (١٧/٢/٢٠٠٩م)، العدد (١٢٩٢٥). وبالمناسبة فإن هذا العنوان استوحيته من عنوان قصيدة بالمناسبة نفسها للأستاذ سعد البواردي.

بـلاد بهـا نيطـت علـيَّ تمـائمي

وأولُ أرضٍ مَـسَّ جلـدي ترابُهـا

لكنـه عشق يـزداد مـع الأيـام، ويتجـدد مـع كـل زيـارة.. ويغسل صدى القلوب مع كل لقاء.. لأن العودة إلى عنيزة من مدينـة صاخبة كالريـاض - عمرهـا الله - ينفـث في أنفاسـنا هـواء أكثـر طـراوة، ويضخ في عروقنا دماً أكثر صفاوة، وفي نفوسنا شعوراً أكثر نقاوة.. إنهـا ملتقـى الأحبـة مـن رفقـاء الطفولـة والـشباب، وزمـلاء الدراسـة، ومعاشر المهنة والأدب.

ولأن كل شيء في عنيزة يتطور؛ فقد كان مهرجان الغضا ٢٩ متميـزاً، ببرامجـه وفعالياتـه، وموفقـاً في توقيتـه الـذي صـادف أيامـاً تجمع بين المطر والدفء، بعد أيام كانت النفوس فيها مشدودة بكآبة الامتحانات وبرودة الشتاء القارس.. لقد كان المهرجان نقلة ترفيهية وتثقيفية موفقة، حيث جمع بين الترفيه البريء والتشويق البديع، والتثقيف السريع، وتمكن من ربط الحاضر بالماضي من خلال نشاطات

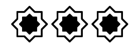
تنقلك من فن الخبيتي إلى الطيران وعلوم الفضاء، مروراً بالسوق الشعبي، والتسوق الدولي، وعروض الليزر، والشاليهات البرية، ورحلات الغضا، والمسرح، والفلوكلور، وكرة القدم، وسباق السيارات العجيبة، والأمسيات الشعرية والثقافية.. إلخ.

وكان من أجمل اللقاءات على هامش زيارة المهرجان ذلك اللقاء الأدبي الأخوي الذي رتب له سعادة المحافظ وسعادة أمين عام الجمعية الخيرية الصالحية بعنيزة، وجمع عدداً من الأدباء والشعراء وعلى رأسهم الأستاذ سعد البواردي، ود. حمد بن عبدالكريم المرزوقي، ود. عبدالرحمن بن عبدالله الواصل، والأستاذ إبراهيم المنصور الشوشان، ود. محمد عبدالرحمن الشامخ، ود. إبراهيم العبدالرحمن المطوع، ود.عبدالعزيز بن محمد الخويطر، ود. أحمد العبدالعزيز البسام، وأ. إبراهيم بن عبدالله التركي (أبو قصي)، وأ. إبراهيم العبدالعزيز الفوزان، وأ. عبدالعزيز المحمد الدواي، وأ. عبدالعزيز الحمد الجطيلي، وأ. فريد العبدالعزيز الزامل، وأ. يوسف النعيم،

وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم.

وتم ذلك اللقاء الجميل ضحى يوم الاثنين ١٤٢٩/٢/٤هـ في مركز ابن صالح الثقافي، وشمل جولة على أقسام المركز ثم جلسة أدبية مفتوحة، ثم حفل غداء، حيث استمر لقاء الأنس ذلك إلى الساعة الرابعة عصراً.

ختاماً: إن هذا المهرجان وما يتضمنه من فعاليات وما يتسم به من تنظيم، مثل يحتذى لتحويل الأقوال الجميلة إلى أفعال مثمرة.. فلكل من شارك في تنظيم مهرجان الغضا من مسؤولين وداعمين وعاملين، جزيل الشكر على جهودهم الرائعة في خدمة مدينتهم وزائريها ومحبيها.



١٨. لديهم بطالة .. ولدينا عطالة!*

البطالة ظاهرة اجتماعية أزلية ربما لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات المعاصرة بما في ذلك الدول المتقدمة والغنية، لكن حجم المشكلة يتفاوت من بلد إلى آخر، والمقياس في ذلك نسبة العاطلين عن العمل إلى مجموع السكان القادرين على العمل.. ومن المؤسف أن البطالة في العالم العربي وصلت إلى أعلى مستوياتها، لتصبح من أخطر التحديات التي تواجهها شعوب المنطقة المثقلة بأعباء وهموم أخرى لا تكاد تنوء بحملها.

وتفيد أحدث التقارير الرسمية العربية أن معدل البطالة في العالم العربي هو الأعلى على مستوى دول العالم حيث وصل إلى نسبة ١٤٪.

لكن الذي يتحتم علينا كسعوديين عندما نناقش هذه المسألة هو أن نكون أكثر واقعية وأكثر فهماً لأنفسنا، لأن ما ينطبق على العاطلين عن العمل في اليابان أو في فرنسا أو حتى في تركيا أو لبنان أو تونس لا ينطبق على العاطلين في المجتمع السعودي.

---

* الخميس ١٤ صفر ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٢/٢١م)، العدد (١٢٩٢٩).

إن التفاوت بيننا وبين غيرنا من المجتمعات واضح في مخرجات التعليم، وفي نظرة المجتمع إلى العمل، وفي أشياء أخرى ينبغي علينا أن لا نغض الطرف عنها، إن من خصوصيات مجتمعنا السلبية أن أكثر من ثلاثة أرباع المهن الفنية والخدمية ابتداء من الأعمال الإلكترونية والهندسية ومروراً بأعمال الطباعة والنجارة والسباكة وانتهاءً بأعمال الزراعة والطهي والحلاقة والنظافة تعودنا على تركها لغير السعوديين، في حين تركنا لهم نصف الأعمال الأخرى مثل وظائف المبيعات والاستقبال والطباعة وما في حكمها، وهذا أحد أوجه الاختلاف بيننا وبين المجتمعات الأخرى التي يمارس مواطنوها جميع الأعمال بلا استثناء.

إن من الخصوصيات السلبية لمجتمعنا أيضاً أن السواد الأعظم من شبابنا يعاني من مشكلة الاتكالية وثقافة أن الدولة وحدها مسؤولة عن إيجاد العمل، وتفضيل الوظائف الحكومية على وظائف القطاع الخاص حتى مع فارق المرتبات؛ لأن العمل الحكومي في نظره أقل انضباطاً وإنتاجية! وعدم تحمل الفرد نفسه مسؤولية التأهيل

الـذاتي، وعـدم إدراكـه حقيقـة أن الحيـاة تقـوم علـى التنـافس الـذي يتطلب أن تخلق الفرصة لا أن تنتظر من يخلقها لك!

وبمعنى آخر فإن ما يقارب ٨٠٪ من العاطلين لدينا غير مؤهلين تأهيلاً حقيقياً، في حين أن العاطل في البلدان الأخرى لا يعاني من هذه العلة.

لهذا السبب فأنا قد اتفق مع د.غازي القصيبي عندما عارض فكرة صرف مرتب للعاطلين عن العمل في بلادنا، والسبب أن صرف هذه الإعانة سيزيد نسبة البطالة، إلا إن كانت الإعانة ستصرف بضوابط تحفيزية تضمن تشجيع هؤلاء العاطلين على التدريب وتطوير قدراتهم، وأن تصرف بشكل غير مباشر، كأن تتكفل وزارة العمل بدفع تكاليف الدورات التدريبية وتطوير المهارات، وربط ذلك بمدى تقدم المتدرب واستيعابه للمعلومات والمهارات التدريبية لضمان تحقق الأهداف المرجوة، وإلا فإن الإعانة ستصبح مرتباً للنائمين وليس للعاطلين!



١٩. أهكذا يفعل الطرب في أمة العرب؟*

يقول الخبر الذي تناقلته بعض وسائل الإعلام العربية مؤخراً: إن مغنياً عربياً شاباً تعرض لهجوم عنيف من الجنس اللطيف، حيث إن حشوداً غفيرة من الفتيات الجزائريات توافدن على المطار واصطففن لاستقبال المطرب المذكور، وما إن وصل إلى صالة القدوم في المطار حتى انقضت عليه جموع الفتيات المعجبات انقضاض النحل الهائج على فريسته الآدمية، ولم يستطع الحرس المكلف به حمايته من هجوم المعجبات رغم الحراسة المشددة التي كانت تحيط به، مما تطلب استدعاء شرطة المطار، والاستنجاد بها لإخراج الضحية من بين البراثن الناعمة التي تتسابق إلى الظفر بمصافحة الفنان أو تقبيله أو ابتسامته. ويضيف الخبر أن رجال الأمن الذين تدخلوا بقوة قد نجحوا في حماية الضحية والإفلات به وإخراجه من المطار بسيارة

* الثلاثاء ٨ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ (١٣/٥/٢٠٠٨م)، - العدد (١٣٠١١).

أمنية بعد أن شكلوا حاجزاً بينه وبين الفتيات المغرمات بفنه، بعد أن تعرض لإصابات وكدمات طفيفة، تستدعي بقاءه في المستشفى من أجل الراحة لبعض الوقت قبل أن يقيم حفله الغنائي!!

لم ينته الخبر عند هذا الحد، لكنه يضيف أيضاً: إن تكاليف الحفل الذي سيقيمه الفنان المشار إليه في العاصمة الجزائر سيتكلف أكثر من ٢٠ مليون دولار (أكثر من ٧٥ مليون ريال).

إن مثل هذا الخبر ليحزن العقلاء والغيورين على هذه الأمة عموماً، وعلى ذلك البلد العربي الذي يعاني من معوقات كبيرة في تنميته واستقراره، ويواجه مصاعب أمنية واقتصادية واجتماعية بعد أن أنهكته الحروب الداخلية، وأوجعته التدخلات الخارجية.

إن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا بكل حسرة وألم: لو كان القادم إلى أرض المطار طبيباً عربياً ناجحاً، أو أديباً مرموقاً، أو مفكراً لامعاً، فهل سيجد هذا الاستقبال الحاشد، وهذا التوافد الجماهيري الكثيف إلى أرض المطار؟

إنه لمن المؤسف حقاً أن بلداً مثل الجزائر الشقيقة بلد المليون شهيد ضد الاستعمار الفرنسي تتغير بها الأمور حتى يصل الحال بأبناء أولئك الشهداء وأحفادهم إلى أن يكون الطرب والغناء هو المسيطر على عقولهم واهتماماتهم!

وإنه لمن المؤسف حقاً أن يكون الاهتمام الأول لشبابنا وشاباتنا هو الرياضة الكروية والطرب، في هذه المرحلة التي أصبح العرب أحوج ما يكونون فيها إلى ربط الأحزمة، ومضاعفة الجهود، واستنهاض الهمم، لتوجيه الأمة إلى البناء والنهوض لتستعيد مكانتها بين الأمم، وتسترد مهابتها التي داس عليها الأعداء.. وما أحوجنا إلى استثمار الأموال والعقول في ميادين العلم والتنوير بعد أن تلاطمت بنا أمواج النكسات والهزائم، وعصفت بنا رياح الخلافات والفرقة، فأصبحنا نسير إلى الخلف في عالم تتسارع خطاه إلى الأمام، فالله المستعان!



٢٠. إثارة العصبية في المواقع القبلية!*

لا شك أن الشبكة العنكبوتية إنجاز عظيم من إنجازات العقل البشري، واكتشاف باهر من الاكتشافات الحديثة التي هدى الله البشرية إليها لتيسير التواصل الإنساني وتبادل المعلومات والخبرات بسهولة بين أبناء المعمورة.

وإذا كانت الدول المتقدمة قد استفادت من هذا الاكتشاف وسخرته لما يعود بالنفع على شعوبها، ويحقق أهدافها الساعية نحو نشر ثقافتها وتقديم حضارتها وإنجازاتها للعالم بكفاءة عالية، فإن هذه الوسيلة العظيمة لم تستخدم بالكفاءة نفسها لدى الشعوب المتخلفة.. ودون أن نهضم حق بعض المواقع الإليكترونية الرصينة في بلادنا؛ فإن الشبكة العنكبوتية لدينا تعج بالكثير من المواقع التي تكرس التخلف، وتزرع الضياع من خلال استخدامها لنشر توافه الأمور، سواء

* الاثنين ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٦/٣٠م)، العدد (١٣٠٥٩).

لنشر الرذيلة، أو لترسيخ ما يشغل الأجيال الناشئة في أمور الجاهلية وخصوصاً إثارة النعرات والعصبيات الإقليمية والقبلية، وتمجيد الأنا الذاتية، وإشغال أبناء الأمة عن أسباب التفاخر الحقيقية كالتسابق على الاختراعات النافعة، وتمجيد الإنجازات الحقيقية إلى المفاخرات المنبوذة..

إن إيجاد مواقع للتعريف بالقرية أو القبيلة والتواصل بين أبنائها ليس أمراً معيباً في حد ذاته، لكن المعيب والمثير للحزن والانزعاج أن تكثر المواقع القبلية المبنية على روح التفاخر، والمؤسسة على عدم أهلية القائمين عليها.

إن أول ما يطالعك في كثير من تلك المواقع المخجلة ظاهرة الأسماء المستعارة، وهذه الظاهرة تحتاج إلى مقال لوحدها، ولكن لا مانع أن أشير إلى بعض المآخذ عليها، فكثير من العقلاء يتفقون على أن استخدام الأسماء المستعارة يدل على عدم الثقة، ويوحي بعدم القدرة على المواجهة وتحمل مسؤولية المادة المنشورة.

كما يؤخذ على استعمال الأسماء المستعارة المغالاة فيها وتفخيم صاحب الاسم المستعار لنفسه، فنجده يسمي نفسه بألقاب تمجيدية رنانة توحي له بالتفوق والتعالي والشجاعة والكرم والسيادة ونحو ذلك، ولا أريد أن أضرب أمثلة لذلك خوفاً من اتهامي باستقصاد أسماء معينة.

كما أن من أهم المآخذ على تلك المواقع نشر القصص والقصائد المبالغ فيها، المثيرة للمفاخرات والنعرات والحساسيات التي أمر الإسلام بعدم إثارتها، وفوق ذلك أيضاً عدم توثيق تلك القصص والتحقق من صحتها.

ومما يؤسف له أن غالبية أصحاب تلك الأسماء المستعارة لا يملكون الأهلية للكتابة في المواضيع التاريخية والأنساب، ولا يستطيعون التحقق من صحة المعلومات التي ينقلونها من بعض كتب الأنساب أو المواقع الأخرى.

أما داهية الدواهي فهي السطو على جهود الآخرين، حيث ينسخ

العضو صفحات كاملة من مصادر أخرى، وينقلها إلى موقعه دون ذكر مصادر المعلومات المنقولة حتى وإن ذيلت النصوص المنقولة بعبارة: (منقول) في آخرها. ومع ذلك فما أن ينقل أحدهم نصاً طويلاً أو قصيراً حتى تتوالى عليه عبارات الشكر والترحيب، ويتسابقون إلى عبارة: (مشكور على هذه المعلومات القيمة، وما قصرت يا عَلاَّمة الدهر!). ولا أحد منهم يتساءل عن صحة المعلومة، ولا يعيب عليه عدم ذكر مصدرها، لأن فاقد الشيء لا يعطيه!.

أما ما يثير الشفقة والضحك فهو أن يستجدي العضو المنضم إلى سفينة المبحرين في بحر الهراء، الترحيب بحضرته، ليدشن دخوله إلى عالم الباحثين عن التطبيل الزائف، غير مدركٍ أن من لا تسبقه سمعته وتجعل الآخرين يرحبون به دون استجداء، لا يستحق الترحيب!!

لذلك فإنه عندما يتصل بي بعض الإخوة طالبين الاستفسار عن بعض المعلومات التاريخية في الموقع الفلاني، أو طالبين مني التعليق

عليها، أجيبهم بأنني لا أجد الوقت لمتابعة ما ينشر في تلك المواقع، وأنصحهم أيضاً بعدم إضاعة أوقاتهم وإزعاج أفكارهم بذلك الهراء، وبتلك الملاسنات السوقية، أما الذين يقدحون بشخصي المتواضع أو بمؤلفاتي تحت أسماء مستعارة فلا أتوقف عند كتاباتهم لأنها لا تستحق ذلك!!



٢١. الضياع في قلب جدة! *

كان الخوف من الضياع والتيه في الصحاري والمفازات من أهم منغّصات السفر في الزمن الماضي، بسبب تباعد المسافات، وانعدام وسائل تحديد الطرق والمعالم التي يستدل بها عابرو الصحراء. ولم يكن الضياع مستنكراً لأنّ المسافر معذور لو تاه الطريق ولم يصل إلى مقصده في الوقت المحدّد.

أمّا في هذا العصر الذي توفّرت فيه أجهزة تقنية متطوّرة لمعرفة الاتجاهات وقياس المسافات، وتحديد الأهداف المطلوب الوصول إليها بدقّة متناهية، فقد تم التغلّب على تحديات الصحراء، ولم يَعُد الضياع فيها شبحاً مخيفاً كما كان من قبل .. لكن المثير للسخرية أنّ الضياع تحوّل إلى المدن، وأصبح الإنسان يتيه في قلب المدينة؛ خصوصاً إذا كان غريباً على المدينة؛ بل إنّ الضياع في المدينة لم يَعُد مقصوراً على القادم الغريب، فقد صار ابن المدينة يتيه في شوارعها

* الثلاثاء ٥ رجب ١٤٢٩هـ (٨/٧/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٠٦٧).

وأحيائها إذا خرج عن نطاق الحي الذي يعيش فيه بعد أن اتسعت المدن وترامت أطرافها، وكبرت أحياؤها، وصار الحي الواحد أكبر من مدينة عامرة من مدن الأجداد.

إنّ مجرّد تجاوز المخرج المناسب اليوم قد يكلف السائق الكثير من الوقت والجهد والأكيال والأميال، ويجعله يذرع الشوارع الطويلة عرضاً وطولاً - رغم أنفه - لتباعد المخارج، وصعوبة الرجوع إلى المكان الذي تجاوزه بالخطأ.

وإذا كان الضياع في السابق يمكن تحمّله إلى حد كبير بسبب ظروف الحياة واتساع الوقت فيها، فإنّ الضياع في الزمن الحاضر لم يَعُد محتملاً في زمن السرعة، ومحدودية الوقت، والالتزام بمواعيد زمنية مهمة، كمراجعة المستشفيات، أو الدوائر الحكومية، أو مواعيد الدراسة والامتحانات، أو غير ذلك.

إنّ من أهم أسباب الضياع في شوارعنا اليوم هو عدم العناية الكافية باللوحات الإرشادية من قِبل البلديات أو إدارات المواصلات ..

وإذا كانت مدينة جدة السبّاقة إلى تسمية الشوارع ووضع لوحات إرشادية بارزة عند كل تقاطع قبل نحو عقدين من الزمن، فإنّها اليوم من أكثر مدننا مدعاة للضياع في شوارعها بسبب تلف الكثير من اللوحات وعدم القيام بتجديدها أو صيانتها على الوجه المطلوب.

فالملاحظ أنّ اللوحات الإرشادية الجميلة المعلقة في وسط الشارع بشكل طولي عند كل تقاطع، كثيراً ما تتعرّض للتلف أو الإزالة بسبب الحوادث المرورية أو الحفريات التي تقوم بها بعض الشركات، ثم لا تعاد تلك اللوحات إلى ما كانت عليه في غفلة من الجهات المسؤولة، أو لعدم الإحساس بأهميتها .. وقد لا يختلف الحال كثيراً في مدننا الرئيسة الأخرى كالرياض والدمام وغيرها، إذ أنّ اللوحات الإرشادية لا تجد ما تحتاجه من عناية ومتابعة، مما يحيل شوارعنا إلى متاهات أشد من متاهات الصحراء .. وهذا بخلاف البلدان الأخرى التي تكون الأحياء والشوارع فيها معرَّفة بالأسماء، والمباني محددة بالأرقام، لا مجال فيها للضياع، والتخبُّط!

فهل تبادر أمانة جدة إلى الاهتمام باللوحات الإرشادية لتعود كما كانت في سابق عهدها أنموذجاً يحتذى في هذا الجانب، أم يظل الإبحار في شوارعها كالإبحار في قلب المتاهة!

وبالمناسبة فإنّ عبارة (قلب المتاهة) تعبير رأيت أنّه أفضل ترجمة للعبارة الإنجليزية: (**the middle of no where**).



٢٢. احذروا هذه المؤسسات السياحية!!*

تشجيع السياحة الداخلية واجب وطني لمن يدرك أهمية السياحة الوطنية وفوائدها الثقافية والاقتصادية، لكن الخوف هو من إمكانية استغلال السياحة الوطنية، ومحاولة الإثراء على حساب المواطنين من قبل بعض رجال الأعمال الجشعين وتجار الشنطة المحتالين!!

ولأنني ممن قدر له أن يتعامل مع إحدى تلك المؤسسات، وكان لي معها تجربة مؤسفة؛ فقد رأيت أنه من المهم أن أنبِّه من لم يقع في تلك المصيدة لعله يحذر، حتى لا يقع فيما وقعت فيه..

تبدأ أول فصول تلك اللعبة من خلال مندوبين ينتشرون في المجمعات الترفيهية والأسواق التجارية، ويعرضون على المتسوق المشاركة في تعبئة قسيمة مسابقة سياحية مجانية.. ثم بعد يوم أو يومين يفاجأ المتسابق سواءً كان رجلاً أو امرأة أو طفلاً بمهاتفة تبشره

* الأربعاء ٢٦ شعبان ١٤٢٩هـ (٢٧/٨/٢٠٠٨م)، العدد (١٣١١٧).

بأنه قد فاز بجائزة مغرية تتمثل في حصوله على إقامة مجانية ليومين أو ثلاثة في شاليه ملكي، أو فندق مجاور للحرم؛ كي يؤدي مناسك العمرة مجاناً!!

ثم بعد ذلك يبدأ الفصل الثاني، وهو دعوة الأسرة بأكملها إلى مقر المؤسسة لتتشرف باستلام أوراق الجائزة، حيث تحظى بالعصير الطازج، وتجد حسن الاستقبال وبراعة الاحتيال، وبعد ذلك يقوم مندوبون ماهرون بتقديم عرض سياحي يتمثل في وجود فرصة ذهبية، وبشرى سارة تتمثل في قدرة الشركة على إنقاذ السائح السعودي من غول الغلاء السياحي، وإعطائه تخفيضات كبيرة توفر له ما بين ٣٠ إلى ٥٠ بالمئة من التكلفة السنوية لإجازته داخل المملكة، فضلاً عن إراحته من مشاكل الحجز؛ لأن الشركة تتولى الحجوزات من خلال رقم مجاني يعطى للزبون الذي ما عليه إلاَّ أن يدفع مبلغاً نقدياً لا يقل عن عشرة آلاف ريال ليحصل على قسائم (كوبونات)، أو بطاقات إلكترونية تتضمن رصيده من النقاط يقدمها للفنادق والأجنحة المفروشة لينعم بالراحة والتوفير!!

لقد ثبت لي بعد تجربة حية مع إحدى هذه المؤسسات أن ما تعرضه تلك المؤسسات ليس إلاَّ هراء ودجلاً واستغلالاً للمواطن، فالجائزة الأولى ليست إلاَّ طُعماً يستدرج من خلاله الزبون للوصول إلى مكتب الشركة، وإذا وصل تلقفته ألسنة السماسرة المدربين، لتزين له المميزات، وتضخم له الهدايا والمفاجآت، ثم عندما يريد استخدام تلك الهدايا يفاجأ بعراقيل تحول دون تنفيذها، منها أنه لا يجوز استخدام الهدايا الإسكانية المقدمة في عرض الهدايا إلاَّ لشخصين فقط، وأنها لا تستخدم أثناء الإجازات الصيفية والعطل الأسبوعية والرسمية!!

أما تسهيل الحجوزات فليس إلاَّ سراب ينتهي عند أول محاولة لأن خط الشركة المجاني يجيبك غالباً بعبارة: (مرحباً بك؛ المآمير مشغولون الآن). أما التخفيض فهو كذبة كبرى، فقد ثبت لي أكثر من مرة أن الأسعار التي يحصل عليها الزبون مباشرة هي الأسعار نفسها التي يسددها من خلال الكوبونات السياحية!!

كما أن من أهم عيوب تلك العروض؛ محدودية الأماكن التي تتعامل معها الشركة السياحية، وعدم تغطيتها لأكبر عدد من الفنادق والأماكن السياحية، فقد تتعامل مع ثلاثة فنادق أو أربعة فقط في مدينة كبيرة كمكة أو المدينة أو الطائف، وقد لا يوجد لها تعاملات البتة في مدن أخرى مما يفوت على الزبون إمكانية الاستفادة من اشتراكه في برنامج العطلات ويضطره إلى الحجز مباشرة والدفع نقداً.

وختاماً؛ فإنني أسوق هذه التجربة الشخصية لعل مسؤولاً في إدارة حماية المستهلك تنفعه الذكرى وتهمه مصلحة المواطن يحرك ساكناً، ويُشعر هذه المؤسسات الاستغلالية بأن هناك إدارة اسمها حماية المستهلك في وزارة التجارة، وأنها معنية بحفظ حقوق المواطن وكبح جماح المتلاعبين والمحتالين!!



٢٣. الخطوط السعودية نجاحات وإخفاقات!*

لقد استبشر المواطنون خيراً عندما صدر قرار خصخصة الخطوط السعودية وتحديث أسطول الطائرات المدنية السعودية، والسماح لشركات طيران جديدة بدخول قطاع النقل الجوي الداخلي، وما تبع ذلك من بعض الخطوات الجيدة مثل استحداث نظام الخدمة الذاتية لاستصدار بطاقات صعود الطائرة، واستبدال التذكرة القديمة بقسيمة إلكترونية.. لكن تلك الخطوات التحديثية لم تحقق آمال المتعاملين مع الخطوط السعودية، فبعد أن اعتقد الجميع أن ما حصل من تطور واضح في قطاعات أخرى تمت خصخصتها؛ وخصوصاً قطاع الاتصالات الهاتفية، سينقل خدمات السفر الجوي لدينا إلى عصر جديد، إلاّ أن ذلك التفاؤل سرعان ما تلاشى ليتحول إلى تذمر ومعاناة حقيقية للمتعاملين مع الخطوط الجوية السعودية..

* السبت ٢٢ شعبان ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٨/٢٣)، العدد (١٣١١١٣).

فمعدل التأخير في مواعيد الرحلات لم يتحسن بشكل مأمول، كما أن مشكلة ندرة وجود المقاعد خصوصاً في المواسم لم تتحسن بل ربما ازدادت سوءاً. فالزيادة في عدد الرحلات لم تتواكب مع الزيادة المتنامية في أعداد المسافرين والمصطافين، مما أدى إلى استمرار معاناة المسافرين من صعوبة الحصول على مقاعد، وما ينتج عن ذلك من استمرار اللجوء إلى الواسطة والمحسوبية والضغط على موظفي الخطوط وإحراجهم من قبل المسؤولين والأقارب والمعارف..

كما أن من المظاهر غير الإيجابية في الخطوط السعودية عدم تمييز ركاب الدرجة الأولى وفق المعمول به في مثيلاتها من شركات الخطوط الدولية الأخرى، ومن أبسط الأمثلة على ذلك أن جميع الركاب يحشرون في الحافلات الأرضية دون تمييز ويظلون واقفين طوال المسافة من وإلى الطائرة خصوصاً في مطار جدة، وكأنهم في حافلات خط البلدة في بعض الدول الفقيرة..

كما أن ركاب الدرجة الأولى ودرجة رجال الأعمال لا يعطون

الأولوية عند النداء إلى صعود الطائرة كما كان الحال سابقاً، أما في معظم مكاتب الخطوط السعودية فقد يستغرق زمن الانتظار للوصول إلى موظف الخطوط ثلاث ساعات من أجل شراء تذكرة أو الحصول على حجز، هذا إذا وجد الحجز، إذ قد يصل رقم الانتظار إلى ٦٠ أو ٧٠ شخصاً، وعند الوصول إلى الموظف قد تكون الإجابة: لا يوجد إمكانية؛ فيذهب ذلك الانتظار سدى!

أما فيما يتعلق بفتح المجال لشركات محلية جديدة، فلم يكن ذلك الإجراء بالمستوى المأمول، ولم يحقق الأهداف المرجوة والمتمثلة في تخفيف حدة احتكار خدمة النقل الجوي المحلية، ولم يوفر المنافسة الإيجابية بين شركات النقل المحلي بما يعود على تطوير الخدمات وانخفاض الأسعار، والسبب أن المجال لم يتح إلاّ لشركتين إضافيتين فقط، مع أن السوق بحاجة إلى المزيد من الناقلين الجويين بسبب اتساع مساحة المملكة وتزايد أعداد المسافرين داخلياً وخارجياً.

لا أحد ينكر أن كثيراً من شركات الطيران الجوية العالمية تعاني صعوبات إدارية وتتعرض لخسائر مالية بسبب الارتفاع الهائل في أسعار الوقود عالمياً، لكننا نعرف أن أسعار الوقود في بلادنا من أرخص الأسعار إن لم تكن الأقل عالمياً، يضاف إلى ذلك الفارق الضريبي لصالح خطوطنا الوطنية.. لهذه الأسباب فإن الخطوط السعودية يؤمل منها أن تستثمر هذه المعطيات وأن تبحث عن مواطن الخلل الإدارية والمالية لديها من أجل رفع كفاءة التشغيل، وتوفير المقاعد، واختصار أوقات الانتظار، لرفع كفاءتها وكسب رضا ركابها، ولتواكب تطلعات قيادتنا الحكيمة التي لم تدخر وسعاً في دعم هذا المرفق الحيوي بكل الإمكانات البشرية والمالية ومرافق البنية الأساسية..



٢٤. الاستعداد لشهر رمضان بين جيلين!*

صوم رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام الخمسة، وهو موسم زماني للتعبد ومحاسبة النفس وحرمانها من الكثير من ملاذ الحياة وشهواتها.. ولأن هذا الموسم الزماني لا يحدث إلاّ مرة واحدة في السنة، فقد كان من سنة المصطفى (عليه الصلاة والسلام) وأصحابه الكرام الاستعداد له بما يناسبه من حمل النفس على الاستزادة من الأعمال الصالحة، واستثمار الأوقات ليلاً ونهاراً في العبادات والنوافل مثل قيام الليل، وقراءة القرآن، وبذل الصدقات وغير ذلك، كان هذا هو هدي المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وديدن السلف والصالحين على مدى القرون الإسلامية..

غير أن مما يؤسف له ويحز في النفس أن نرى من مستجدات

* الاثنين ٢٤ شعبان ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٨/٢٥م)، العدد (١٣١١٥).

هذا الزمن الذي عم فيه الخير ورغد العيش في بلادنا تغيراً في سلوك الناس بشأن الاستعداد لشهر رمضان - إلاّ من رحم ربك - فقد أخذ الاستعدادُ لرمضان أشكالاً أخرى لا تعين على العبادة ولا تتعلق بها، بل ربما أن في الكثير منها صد للنفوس عن التزود من أعمال الخير، وعصيان لمن أنعم على المخلوقين بهذه النعم التي لم يعرفها آباؤهم وأجدادهم..

لقد أخذ الاستعداد لرمضان أشكالاً جديدة، وتمخض عن سلوكيات خطيرة، فالقنوات الفضائية تتسابق في عرض أحدث ما لديها من الأفلام والمسلسلات، والسهرات الفنية الغنائية، والمسابقات والفوازير الموجهة للكبار والصغار، ولا حاجة للقول بأن معظم تلك البرامج والفقرات لا تأخذ في حسبانها الحد الأدنى من مراعاة الآداب الإسلامية والأخلاق الرمضانية!!

أما مؤسسات التسلية والترفيه فتجعل من رمضان موسماً

تجارياً؛ فتكثف من إعلاناتها الدعائية وتزيد من برامجها الترفيهية، وتفتح أبوابها من بعد صلاة المغرب إلى قبيل صلاة الفجر، وكأن وظيفتها إلهاء الناس عن التهجد وإشغالهم عن التعبد في ليالي رمضان!!

أما الأسواق التجارية ومحلات بيع السلع الغذائية والكمالية فإنها تستعد لرمضان على طريقتها الخاصة، وكأنه موسم تجاري استهلاكي لا موسم تعبد وتبتل إلى الله عز وجل، فنراها تباشر الاستعداد لرمضان قبل حلوله بتكثيف دعاياتها التجارية، وتزيين الشوارع وواجهات المحلات بصور أنواع المأكولات والمشروبات الرمضانية، وتزرع في نفوس الدهماء ارتباط تلك المأكولات والمشروبات بشهر رمضان الكريم حتى تحيلها مع مرور الوقت إلى مواد لا يكتمل الصوم دون وجودها على الموائد الرمضانية!

لقد نتج عن تلك الاستعدادات المختلفة عن استعدادات

السلف مخاطر وسلبيات كبيرة، فمنها تحويل شهر رمضان إلى موسم للهو واللعب وإنتاج المسلسلات وحفلات الطرب غير المحتشمة، ومنها إشغال عباد الله عن الهدف الأسمى لشهر الصوم المبارك، وإحياء ليلهم بالنظر إلى المحرمات وسفاسف الأمور، وقضاء نهارهم بالنوم المتواصل والانقطاع عن العمل وعن الذكر وعن الصلاة للسواد الأعظم من الناس؛ خصوصاً الناشئة.. ومنها تحويل رمضان إلى شهر للاستهلاك في كل شيء، والإسراف في المأكل والمشرب، وتبذير المال في التسوق والإنفاق على غير الضروريات..

لقد كان الصوم في السابق يهدف إلى تحقيق أمور كثيرة منها تعويد النفس على الجوع والعطش، وإراحة المعدة من كثرة الأكل لما في ذلك من الصحة لقوله صلى الله عليه وسلم: (صوموا تصحوا)، لكن الأمر الآن انقلب إلى زيادة في الأكل والوزن تخرج الصوم عن واحدة من أهم الحِكَم المرادة منه..

إن السنن السيئة لا تعود على المجتمع إلاّ بنتائج سيئة وعواقب وخيمة، فهل يتنبه العقلاء إلى خطورة الأمر، وهل تراجع الأمة نفسها، وتحذر عقوبة ربها!

لماذا لا يخصص شهر رمضان للعبادة كما شرعه الله، ويخصص للأمور الأخرى مواسم أخرى إذا كان لا بد للشر من مواسم؟.



٢٥. كفلاء يشوهون سمعتنا!*

لا يزال نظام الكفالة الذي أوجدته ظروف اقتصادية وإدارية معينة عند بداية الطفرة الاقتصادية في بلادنا في السبعينيات الميلادية من القرن الماضي يثير جدلاً كبيراً في البلدان التي نستقدم منها العمالة الوافدة، والسبب الرئيس لهذه الضجة هو سوء استخدام نظام الكفالة من قبل فئة من الكفلاء وأصحاب الأعمال إلى حد يصل إلى ظلم العمالة والتعامل معهم معاملة القوي للضعيف، والقوي إذا ضعف عنده الحس الإنساني والخوف من الله تعالى وأمن المساءلة قد يأتي بعجائب الظلم والبطر وأكل الحقوق في ظل إجراءات إدارية تتسم بالبيروقراطية والروتين وبطء الإجراءات وضبابية الأنظمة.. لهذا يتعرض كثير من الكفلاء والمكفولين – على حد سواء – إلى ضياع حقوقهم، كما يتعرض كثير من العمال إلى معاملة سيئة، وظروف قاسية.

أعيد التذكير بهذه الحقائق وأنا أمام مثال حي، وحالة عرفتها

---

* الأربعاء ٣ رمضان ١٤٢٩هـ (٢٠٠٩/٩/٣م)، العدد (١٣١٢٤).

عن كثب جرت أحداثها هذه الأيام، وهي حالة طبيبة من دولة عربية عملت لمدة سبع سنوات في أحد المستوصفات الخاصة، وفي السنة الأخيرة أدخِلت والدتها إلى المستشفى في بلدها وطال مكوثها في قسم العناية المركزة، فأخذت إجازتها السنوية وأمضتها معها، ثم عادت لكن والدتها طال بقاؤها في المستشفى ولم تخرج منه، فطلبت من كفيلها إعطاءها إجازة طارئة لتكون قرب والدتها المسنة التي توحي حالتها أنها في مرض الموت، فما كان من الكفيل إلا أن ماطل وسوّف بحجة أنه يبحث عن بديل لها. ولما طال التسويف طلبت منه السماح لها بالسفر دون تأخير لظروف طارئة، فأجابها بالرفض بحجة أنها إن سافرت فلن ترجع، فما كان منها إلا أن تقدمت للجهة المسؤولة مستنجدة بها، لكن الكفيل ما إن علم بشكواها حتى سارع إلى تخييرها بين التنازل عن كامل حقوقها المالية والعمالية خلال سنوات عملها، أو كف يدها عن العمل وإبقائها في السكن لحين انتهاء النظر في القضية، فاضطرت للبقاء في السكن بمفردها لوجود زوجها في بلد يبعد عنها أكثر من ألف كيل، وأولادها الصغار في بلدها.. أما الجهة التي تقدمت لها فقد أحالت المعاملة إلى

جهة ثانية، والثانية إلى جهة ثالثة، وبين كل إحالة وإحالة العديد من المراجعات والمتابعات والأرقام الصادرة والأرقام الواردة، فما كان من هذه المكفولة المغلوبة على أمرها إلا أن اتصلت بسفارة بلادها، فكان الجواب دبلوماسياً لا عملياً، وطيبت السفارة خاطرها بكلام رقيق مفاده أن السفارة مشغولة بآلاف القضايا المماثلة وعشرات القضايا الأكبر حجماً وأكثر أهمية من قضيتها، وأن عليها أن تواصل دعواها في الجهات ذات العلاقة.. اتصلت بالجهات الإعلامية فوجدت أن الجهات الإعلامية لا تحبذ الدخول في هذه القضايا بسبب القيود التنظيمية والخوف من التورط في قضايا قانونية مع الكفيل، ولأن المواعيد لدى بعض الجهات التي تقدمت لها مثل مكتب العمل والمحكمة وغيرها لا تقل عن شهر، والشهر قابل للتمديد لمرتين أو ثلاث في حالة غياب المدَّعَى عليه أو غياب الموظف الذي أحيلت عليه القضية، وفي حالة الحضور فقد تمدد الجلسات إلى مواعيد أخرى بحجة طلب المزيد من الإثباتات أو الطعون، فإن الدعوى قد تمتد إلى شهور وربما سنوات، وبعد أن ذاقت هذه المكفولة مرارة الإيقاف عن العمل، وكآبة البقاء في السكن، وصدمت بطول

الإجراءات وعدم مبالاة الموظفين بظروفها، وجدت نفسها مضطرة لأن توقع أمام الموظف المسؤول في مكتب العمل بأنها قد استلمت جميع حقوقها، وتعهدت بعدم المطالبة أو رفع الدعاوَى مستقبلاً على مكفولها، رغم أنها ويعلم الموظف المسؤول لم تستلم ريالاً واحداً!

قد لا يلام الموظف لأنه ينظر إلى ما تم على أنه اتفاق صلح يتنازل به المكفول عن حقوقه مقابل السماح له بالسفر بدلاً من الانتظار ومتابعة القضية في محاكم العمل من الابتدائية إلى النهائية، ثم المحاكم الشرعية من الأولية إلى التمييز، وما بين ذلك من الاعتراضات والاستئنافات.. لكن التنازل عن الحقوق بهذه الطريقة في واقعة ليس إلا ظلماً وأكلاً لأموال الناس بالباطل، واستبداداً يمارسه القوي على الضعيف.

كم في بلادنا من أمثال هذا الكفيل الذي يشوِّه سمعة المملكة في الخارج، ويسيء إلى صورة السعوديين التي لا تحتاج الآن إلى المزيد من الإساءة والتشويه!



٢٦. لا عزاء في فقد الأعزاء! *

في مسيرة حياتنا من الطفولة إلى الكهولة نعبر محطات العمر ومراحله، ونمر بالظروف والمواقف السارة والمحزنة دون أن تتوقف عقارب الساعة، أو تهدأ عجلة الزمن، أو تتعطل حركة الحياة المتسارعة..

نمر بلحظات الفرح أو تمر بنا لكننا لا نتوقف عندها، ولا نستطيع التشبث بها، فيأخذنا قطار الحياة إلى ما بعدها من محطات.. ننعم ببراءة الطفولة حيناً من الدهر، ونعيش في كنف الأبوين لا نحمل هماً، ولا نتحمل مسؤولية، ونسعد بمحبة من حولنا، وتتوثق علاقاتنا ببعضهم حتى إذا أصبحوا رموزاً انغرست محبتهم في كياناتنا العاطفية، وتحولت تلك العلاقة إلى تعلق يكبر مع الأيام، ثم تتخرمهم يد المنون شيئاً فشيئاً، ونفجع بفراق من نحبهم من الأعمام والأخوال والأقارب والأصدقاء، ونصدم برحيل من له مكانة في قلوبنا من الحكام والعلماء والأعلام، ويتفاوت وقع الفجيعة من حادثة

* الجمعة ١٢ رمضان ١٤٢٩هـ (٢٠٠٩/٩/١٢م)، العدد (١٣١٣٣).

إلى أخرى بحسب العلاقة بالفقيد ومكانته في النفس، ويبقى الوالدان أعز المفقودين وفراقهم أكثر مضاضة؛ لأن العلاقة بهما ليست كالعلاقة بغيرهما:

وفي السماءِ نجومٌ لا عِدَاد لها
وليس يكْسِفُ إلاّ الشمسُ والقمرُ

فرحيل الوالدين لا يعني رحيل أعز الناس وحسب، ولكنه يعني رحيل رعيل من الأخيار، وحلول جيل محل جيل، ويعني أن من كان مولوداً بالأمس أصبح والداً اليوم، وكما قال أبو البقاء الرندي:

لكلِّ شيءٍ إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
وهذه الدار لا تبقي على أحد
ولا يدوم على حال لها شان

ونزول الأولاد منزلة الآباء يعني الذهاب في طريق العابرين، واللحاق بركب الغابرين:

لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر

أيقنـــت أنـــي لا مَحَالـــة حيــث صــار القــوم صائــر

لهذا تتضاعف الفجيعة بفقد الوالدين، وتتكدر النفس لرحيلهما الأبدي، ويعتصرها الألم كلما استعادت الذاكرة شريطَ حياتهما..

لم يكن وقع الفجيعة سهلاً عندما توفي والدي ضحى الجمعة ١٧- ١١- ١٤٢٧هـ، وعندما لحقت به والدتي ليلة الجمعة ٩- ٦- ١٤٢٩هـ أي بعد أقل من سنة ونصف.. ولكن لم يكن أمامي وإخوتي إلاّ الصبر والاحتساب إيماناً بالله، واحتساباً لما عنده، ويقيناً بأن كل نفس ذائقة الموت!

كانت الفاجعة بوالدي ثم والدتي أكبر من أن أرثيهما بكلمة أو قصيدة في حينها، لأن ما سأكتبه أو أقوله لن يفي بحقهما، فقد اجتهدا في تربيتي مع أن الدهر لم يترك لهما مربياً في طفولتهما، وجاهدا في تعليمي وهما اللذان لم تتح لهما الفرصة ليتعلما، ولهذا فقد تمثلت بقول أبي الحسن الأنباري في رثاء صديقه الوزير ابن بقية العباسي:

ولـــو أنـــي قـــدرت علـــى قيـــامٍ

بفرضـــك والحقـــوقِ الواجبـــاتِ

مــلأت الأرض مــن نظــم القــوافي

وبُحْــت بهــا خــلاف النائحــاتِ

ولكــني أصبــِّرُ عنــك نفــسي

مخافــة أن أُعَــدَّ مــن الجنــاةِ

فاكتفيت بما يقوله العبد المؤمن عند نزول المصيبة: (إنا لله وإنا إليه راجعون).. وكان مما زاد من هدوء النفس واطمئنانها صلاح الفقيدين، واستبشار كل من عرفهما بأن ما قدما عليه خير مما تركاه، فتذكرت قول أبي الحسن التهامي في رثاء ولده:

جــاورت أعــدائي وجــاوَرَ رَبــَّهُ

شــتان بــين جــواره وجــواري

رحم الله والدي ووالدتي، وجبر عزائي وعزاء كلٍّ من فقد عزيزاً لديه، ورحم جميع موتى المسلمين، وجمعنا بهم في جنة الفردوس الأعلى، في حياة البقاء بعد الفناء، وهو المستعان.



٢٧. النهب والنهابون قديماً وحديثاً![*]

عندما نتحدث عن الحياة في بلادنا قبل قيام موحد الجزيرة بتوحيد البلاد على أسس من النظام والشريعة وإرساء هيبة الدولة لحفظ حقوق الناس وحماية خيارهم من أشرارهم، كنا لا نتحرج من القول بأن ظاهرة السلب والنهب كانت من سمات ذلك المجتمع الصحراوي الغارق في غياهب الجهل والغوغائية في ظل غياب السلطة وانعدام النظام والقانون!!

ومع أن ذلك المجتمع كان لا يخلو من الأخيار، ولا يعدم بعض الصفات العربية الحميدة التي جبل عليها العرب وهذبها الإسلام كالكرم والشجاعة والعفة والإيثار على النفس، إلاّ أن ذلك لم يمنع من شيوع ممارسة السلب والنهب واستحلال الدماء والأموال..

ونتيجة لذلك الوضع الفوضوي؛ فقد كان من المألوف أن يصبح الرجل غنياً ويمسي فقيراً، أو يمسي غنياً ويصبح معدماً، بحسب

* الثلاثاء ١٦ رمضان ١٤٢٩هـ (١٦/٩/٢٠٠٨م)، العدد (١٣١٣٧).

الغارة التي قد تكون في أول النهار فتسمى صَبَاحاً، أو في الليل فتسمى هجاداً، وبين الصباح والهجاد تزهق نفوس، وتسلُبُ أموال، وتتلف ممتلكات، وتتشتت أسر، ويترمل زوجات، ويتأتم أطفال.

وعندما أذن الله لذلك الليل أن ينجلي، وقيض الله الملك عبدالعزيز ليلم شتات البلاد ويطفئ نار الفتنة، تنفس الناس الصعداء، وذاقوا طعم الأمن، ونعموا بالاستقرار والهدوء، وأذهب الله عنهم رجس الجاهلية، وحمى بعضهم من بأس بعض، وأصبح الغزو والسلب والنهب والصباح والهجاد من مصطلحات الماضي التي لا يعرف معناها إلاَّ جيل الآباء والأجداد ممن ولدوا قبل بزوغ شمس التوحيد!!

غير أن الأشرارَ لا يستكينون للحق، والشرُّ الكامن في النفوس البشرية لا يزول منها بالكلية وإن توارى مؤقتاً، ولهذا فإن أصحاب الشر سرعان ما يتكيفون مع الظروف المحيطة بهم ثم يبحثون عن وسائل أخرى يخترقون بها حصون الخير والأمن ويتحايلون فيها على النظام والقانون؛ وهذا ما حدث ويحدث في مجتمعنا الذي نعم الناس فيه

بالأمن على أعراضهم وأموالهم، ولم يعودوا يخشون غارات السلب والنهب التي كانت تشن في وضح النهار، مصحوبة بطعم الموت ورائحة البارود؛ لكن الأموال صارت تنهب دون غارات مسلحة وبلا معارك عسكرية، وإنما بغارات سلاحها الحملات الدعائية، وقوادها النصابون والمحتالون، الذين يمنون المواطن بالثراء ثم يستولون على ثرواته، ويعدونه بالغنى فيجلسونه على بساط الفقر!!

فقد كثر في السنوات الأخيرة النهابون والنصابون في مجتمعنا، وبلغت هذه الممارسة مبلغاً لافتاً، ووصلت حداً مخجلاً؛ بدليل أنك لا تكاد تجد مواطناً لم يتعرض لهذا النوع من النهب والسلب، ابتداء من شركات التقسيط، ومروراً بالمساهمات التجارية والعقارية، وانتهاء بلعبة الأسهم التي أكلت الأخضر واليابس!

أما أسوأ ما في ظاهرة النهب الحديثة فهو تلبس بعض فرسانها بالمظهر الديني، أو ممارستها من قبل بعض المحسوبين على رجال الدين، ولا أبالغ إذا قلت أن من بين أولئك خطيب جامع كانت آخر خطبة له في مسجده خطبة بليغة خصصها للتحذير من أكل أموال

الناس بالباطل، والتذكير بما أعده الله من الويل والعذاب للذين يحتالون على الناس ليأكلوا أموالهم دون وجه حق، وقد حضرت تلك الخطبة بنفسي، ثم فوجئت به خلال أسابيع معدودة يتحول إلى رجل أعمال فجأة، ويعلن عن مساهمات عقارية يسيل لها اللعاب، مستغلاً العواطف الدينية من خلال الإعلان عن مشاريع سكنية مربحة قرب المسجد النبوي، فتدافع الباحثون عن الربح السريع، والراغبون في السكن جوار مسجد المصطفى ﷺ، وتمكن من خلال ذلك الاحتيال أن يستخرج ما ادخره معلمو ومعلمات بلدته الحالمة الوديعة وما حولها من المدن والقرى، وأن يستولي على تلك المدخرات بين عشية وضحاها، حتى صار من أصحاب الملايين، ومن مشاهير المجتمع، ومن رجال الأعمال المقربين لكبار المسؤولين، ثم بدأت رحلة المماطلة في دفع العائدات التي وعد بها المساهمين، ثم أعلن إفلاسه وعجزه عن السداد على طريقة من سبقوه!



٢٨. انتهى زمن الشوارع الصغيرة في المدن الكبيرة!*

تعاني مدننا الرئيسة من ازدحام مروري يتزايد من يوم إلى آخر، رغم المحاولات المتتابعة من الجهات المعنية مثل المرور والبلديات، فنجدها تغلق بعض الإشارات مرة، وتحول المسارات مرة ثانية، وتختزل الأرصفة الجانبية مرة ثالثة ...إلخ تلك المحاولات والمعالجات المؤقتة التي سرعان ما يزول أثرها ويثبت عدم جدواها من سنة إلى أخرى.

إن السبب في عدم فاعلية تلك الحلول المؤقتة هو التوسع الهائل في حركة السير لدينا بسبب النمو السريع لمدننا، وتضاعف عدد سكانها في أزمنة قياسية؛ في حين يظل الشارع الذي مضى على إنشائه ثلاثون عاماً أو أكثر على حالته الأولى لا يتوسع ولا ينمو عرضه مع دخول كل سيارة إضافية إلى أرتال السيارات العابرة له.

ولو أخذنا شارع الضباب في مدينة الرياض على سبيل المثال

---

* الثلاثاء ٢٣ رمضان ١٤٢٩هـ (٢٣/٩/٢٠٠٨م، العدد (١٣١٤٤).

لوجدنا أن هذا الشارع الحيوي الذي كان مناسباً وجميلاً جداً عند إنشائه قبل أكثر من ٢٥ عاماً، لم يعد كذلك الآن، بل إنه يحتاج إلى أن تكون مساحته ضعف مساحته الحالية مرة أو مرتين مع تعديل تقاطعاته أو تحويلها إلى أنفاق وجسور لتنساب عليه حركة السيارات بشكل طبيعي كما كان قبل عشرين عاماً.

بل إن الأمر يتجاوز ذلك إلى خطوطنا الدائرية السريعة التي استمتعنا بها سنة أو سنتين عند افتتاحها، لكنها ما لبثت خلال سنوات قليلة أن عادت إلى شوارع بطيئة الحركة، مكتظة بالمركبات، ففقدت مميزاتها، وأصبحت مصدراً للزحام وإقلاق العابرين والساكنين بالقرب منها، وصار السائقون يتحاشون سلوكها ويفضلون الطرق الفرعية عليها خوفاً من مشاكلها وأعطالها. ومثلها شوارع رئيسة أخرى في كل مدن المملكة سواء في الرياض أو مكة أو جدة أو الدمام أو بريدة أو عنيزة أو حائل أو غيرها..

لقد أثبتت تجاربنا في هذا المجال أن الخلل الذي نعاني منه في

المجال المروري يرجع إلى أن معدلات النمو في مدننا تفوق تصورات مخططينا بفارق كبير، أو أن التأخير في تنفيذ بعض المشاريع يؤدي إلى عدم مواكبتها لاحتياجاتنا، فتصبح قديمة بمجرد الانتهاء من تنفيذها في بلد تدور فيه عجلة النمو بسرعة مذهلة، وهذا بخلاف ما نراه في كثير من المدن العالمية الكبيرة مثل لندن وباريس وجنيف التي تنساب فيها الحركة بشكل مقبول رغم ضخامة أعداد سكانها ومركباتها، والسبب أن معدل النمو في تلك المدن أكثر ثباتاً وأقل سرعة من مدننا، مما يعطيها توازناً أكثر بين التخطيط ومعدلات التوسع.

الذي أود أن أقوله أن على تلك الجهات أن تدرك أن تلك المعالجات المؤقتة لا تقدم حلولاً للازدحام، وإنما هي هدر للمال والجهد والوقت، وزيادة في التذمر المتزايد من الزحام الخانق الذي تعاني منه شوارعنا ويضغط على أعصابنا، ويشوه جمال مدننا ويسيء إلى سمعتها ويربك أنظمتنا المرورية ويحملها فوق طاقتها.

ولعلنا لا ننسى الإشادة بما تقوم به الجهات المسؤولة في بعض مدننا بهذا الشأن، حيث أخذت زمام المبادرة، وقررت استباق الزمن وعدم الانتظار لحين حدوث الازدحام، فطبقت مبدأ: الوقاية خير من العلاج، فسارعت إلى تحويل جميع التقاطعات المهمة إلى أنفاق وجسور علوية رغم أنها لا تعاني من اختناقات حالياً، كما عمدت إلى فتح شوارع جديدة لفك اختناقات المدينة، وهذا ما نشاهده في المدينة المنورة على سبيل المثال، وهي تجربة ينبغي أن تحتذى في بقية مدننا، كما ينبغي الإشادة بهذه البادرة التخطيطية، وتقديم الشكر لأمانة المدينة المنورة ولفرع وزارة المواصلات هناك، ولكل الجهات ذات العلاقة.



٢٩. البكاء على توقف عيون وادي الفرع!*

كانت بلادنا رغم طبيعتها الصحراوية تتميز بكثرة العيون المائية، وتحتفظ بمخزونات جيدة من المياه الجوفية تكفي البلاد لعقود قادمة لو تم استخدامها بشيء من التخطيط والوعي؛ لكن اتكاليتنا المعهودة، وعدم الاكتراث بالنتائج، من قبل الجهات ذات العلاقة، وسوء الاستخدام من قبل الأهالي، أدى إلى استنزاف تلك المخزونات خلال ثلاثين سنة فقط!!

لقد عرفت أنا وجيلي آباراً جوفية تندفع مياهها فوق سطح الأرض بمجرد فتحها، ودون رافعات آلية، وكان أصحابها يتباهون بذلك ويتركون المياه المندفعة تسيح على سطح الأرض لتضيع هباءً في الصحاري والمستنقعات المجاورة، ولا يستفيدون إلاّ بجزء قليل منها، ولم تكن لدينا جهات واعية مسؤولة عن ترشيد المياه حينئذ، فكان حفر

* الثلاثاء ٨ شوال ١٤٢٩هـ (٧/١٠/٢٠٠٨م)، العدد (١٣١٥٨).

الآبار واستنزاف المياه الجوفية يتم بلا رقيب ولا حسيب؛ فلم تلبث تلك الآبار والمياه المتدفقة أن ضعفت، ثم توقفت، ثم تلاشت مخزوناتها بالكلية!

أما عيون الماء الشهيرة في الأحساء والقطيف والخرج والحجاز فقد أهْمِلت تماماً من قبل الجهات الرسمية، وتركت للمزارعين والمجاورين يستخدمونها بطرقهم البدائية دون تطوير أو ترشيد، ومع تناقص المعدل السنوي لنزول الأمطار، ضعفت تلك العيون، ثم توقفت واحدة تلو أخرى، فتحولت تلك الواحات الخضراء إلى صحارَى قاحلة، هجرها أهلها إلى المدن المجاورة.

لا ننكر أن الجهات المسؤولة عن المياه قد أنشأت العديد من السدود، ولجأت إلى مشروعات تحلية المياه المالحة لمواجهة مشكلة العجز في مياه الشرب في المدن الرئيسة وما جاورها؛ لكن تلك الحلول الجزئية التي جاءت متأخرة لم تكن حلولاً جذرية، ولم تقدم بديلاً لما فقدناه أو أضعناه من مخزوناتنا المائية..

كثيرون كتبوا عن هذه الكارثة أو تحدثوا عنها؛ لكنني أكتب عنها وأنا أسمع وأرى توقف آخر العيون المائية لدينا هذه الأيام خصوصاً في منطقة وادي الفرع[1] بمنطقة المدينة المنورة، حيث تتناقل أجهزة الجوال صوراً مؤلمة لتوقف العيون في وادي الفرع..

إن مشكلة نقص مياه الشرب التي بدأت تتفاقم في مدن تقع على البحر أو بالقرب منه مثل جدة وأبها ورابغ والقنفذة وينبع النخل، أو بالقرب من الساحل الشرقي مثل القطيف والأحساء وغيرها، تمثل دليلاً واضحاً على أن الحلول المؤقتة لا تحل المشكلات بل تسكّن الإحساس بالألم إلى أن يتفاقم المرض.. إن مشكلة النقص الحاد في مياه الشرب ينبغي ألاّ تشغلنا عن كارثة كبيرة أخرى وهي تصحر أجزاء كبيرة من مناطق كانت زراعية وريفية يعيش من خيرها قطاع كبير من سكان هذه البلاد، وتوفر نسبة كبيرة من إنتاجنا الزراعي،

---

(١) يقع وادي الفرع (بضم الفاء أو فتحها) بين مكة والمدينة على بعد ١٣٠ كيلاً تقريباً من المدينة على يمين الذاهب إلى مكة مع طريق المدينة – مكة السريع.

وهي المناطق الزراعية المجاورة للمناطق الساحلية التي كانت تتدفق فيها عيون الماء العذب، وتقوم عليها زراعات ذات شهرة على مدى التاريخ كما هو الحال في الأحساء والقطيف وينبع النخل وأودية رابغ وحجر ووادي الفرع ووادي فاطمة وغيرها..

لماذا لم تفكر الجهات المسؤولة عن التخطيط لدينا باتخاذ البدائل والحلول المناسبة للمحافظة على تلك المناطق الزراعية، وإنقاذ الحياة فيها؟

إن فكرة إعادة ضخ المياه المحلاة إلى تلك العيون وبيعها إلى المزارعين بطريقة مناسبة ليس أمراً مستحيلاً إلاّ على من لا يقدِّر أهمية تلك الكارثة..

أرجو ألاّ يبادر المسؤولون كما عودونا على تسفيه هذه الأفكار بدعوى ارتفاع التكلفة، لأن المناطق المذكورة لا تبعد عن البحار كثيراً، كما أنه يمكن تسديد جزء كبير من التكلفة عن طريق بيع المياه للمزارعين بأسعار مناسبة من خلال وضع عدادات شبيهة بعدادات

المنازل، في حين تتولى الدولة تحمل جزء كبير أيضاً من التكلفة في سبيل تنمية تلك المناطق وإعادة الخضرة والحياة إليها.

إن استنزاف مياهنا الجوفية ونضوب الآبار، وتوقف العيون دون اكتراث أو دراسات جادة لإيجاد البدائل، يعد خطأً جسيماً سنعاني من تبعاته، وسوف تحاسبنا عليه الأجيال القادمة!!



٣٠. ماذا أعددنا لما بعد النفط؟*

لا شك أننا معشر الجيل السعودي المعاصر ننعم بالعيش في بلد هو الآن أكبر مُصَدِّر للطاقة النفطية في العالم، مما جعلنا نعيش في أعلى مستويات الترف الاستهلاكي؛ حيث نستمتع باستيراد ما نريد من المأكل والملبس والمركب وننعم بكل وسائل الحياة الحديثة، بعد أن كنا من أفقر شعوب المعمورة وأقلها موارد بسبب طبيعة بلادنا الصحراوية القاحلة..

ومع أن النفط قد اكتشِف في بلادنا وبدأ تصديره منذ ما يقارب سبعة عقود، إلاّ أننا لم ننعم بالثروة إلاّ بعد أن ارتفعت أسعار النفط في السبعينيات الميلادية، عندما دخلنا في مرحلة الطفرة من أوسع أبوابها، فترجلنا عن ظهور الإبل والحمير والبغال، وامتطينا أفخم أنواع المركبات الغربية والشرقية،

* الجمعة ١١ شوال ١٤٢٩هـ (١٠/١٠/٢٠٠٨م)، العدد (١٣١٦١).

وانتقلنا من بيوت الطين إلى الفلل والقصور المسلحة التي لا يسكنها إلاّ كبار القوم في الدول الأخرى؛ ولهذا فإن أخشى ما يخشاه من يخاف عواقب الأمور أن نعود إلى ماضينا البئيس بالسرعة نفسها التي دخلنا بها عالم الحياة المترفة!!

ومما يزيد من المخاوف أننا في الغالب نعيش اللحظة التي نحن فيها، ولا نفكر كثيراً في التخطيط الإستراتيجي لمستقبلنا، وإنما نسير وفقاً لحكمة شاعرنا:

دَعِ الأيامَ تفعلُ ما تشاءُ
وطبْ نفساً إذا حكم القضاءُ

أو نؤمن بمقولة فيلسوفنا العامي: (اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب).

تذكرت هذا وأنا أتابع آخر تقرير لإدارة معلومات الطاقة الأمريكية الذي روجت له وسائل الإعلام الغربية التي لا تفتأ تضخم احتياطي المملكة النفطي بشيء من الخبث والحسد، فهي

تضخمه بخبث لتضغط على المملكة من أجل زيادة إنتاجها في سبيل تغطية احتياجات أمريكا من جهة، وكبح ارتفاع أسعار النفط من جهة أخرى. وهي تروج لذلك بحسد لأن وسائل الإعلام الغربية والصهيونية التي لا تريد لهذه البلاد خيراً، تسعى لتأليب الشعوب المستهلكة للطاقة النفطية ضد المملكة، لتظهرها بصورة الهمجي الذي يملك ثروة لا يستحقها، ويتحكم في اقتصاد العالم، ويتلذذ بزيادة معاناة الشعوب التي لا تتوفر لديها طاقات بترولية!

ويقدر التقرير المشار إليه احتياطي المملكة البترولية بـ٢٦٧ مليار برميل.. ومع أنني لست خبيراً في الطاقة إلاّ أن لدي إحساساً بأن هذا الرقم ينطوي على مبالغة كبيرة، ويتأثر بعوامل سياسية ودعائية للأسباب التي ذكرتها أعلاه.. والدليل أن أياً من خبراء الطاقة البترولية الغربيين الذين يطالبون المملكة برفع إنتاجها إلى ١٥ مليون برميل يومياً، لا يتحدثون

عن قضية استنزاف هذه الطاقة، ولا يتكلمون عن المدة التي سينضب فيها احتياطي المملكة من هذه الثروة الوحيدة التي يقوم عليها اقتصاد المملكة ورفاهية مواطنيها!

والأسوأ من ذلك أننا لم نسمع من مسؤولينا المعنيين بالتخطيط لمستقبلنا ما يجعلنا نطمئن على مستقبلنا بشأن التخطيط لما بعد نضوب البترول على الرغم من أهمية هذا الموضوع المتعلق بمصير بلادنا وجيل أبنائنا!! وبحسبة بسيطة فإن زيادة إنتاجنا إلى ١٥ مليون برميل يومياً التي تطالب فيها أمريكا سيجعلنا نفقد مخزوننا الاحتياطي بكامله خلال ٥٠ سنة على أكثر تقدير، هذا إذا صدقت الأرقام التي أعلنها التقرير المشار إليه عن رقم احتياطي المملكة. أما إن لم تصدق تلك التقديرات فقد نفقد احتياطنا النفطي خلال ٢٠ أو ربما ٣٠ سنة فقط، ونصبح دولة بلا نفط، وبلا ماء، مع افتقارنا إلى المقومات الإنتاجية الأخرى مثل الصناعة والزراعة، فضلاً عن

افتقادنا للأيدي العاملة الفنية التي تشكل مصدراً للثروة في كثير من البلدان..

ولكم أن تتصوروا كيف سيكون وضعنا، وكيف ستصبح حياتنا وقد أصبحنا أربعين أو خمسين مليوناً، بلا بترول وبلا ماء؟ وإذا افترضنا أننا سنعود لعصر ما قبل البترول، فهل سنجد ما يكفي تلك الملايين من البغال والحمير؟



٣١. المسطحات الخضراء تكشف ثقافتنا!*

لم أتحمس كثيراً عندما قرأت خبراً صحفياً حديثاً مفاده اعتزام أمانة مدينة الرياض إنشاء المزيد من الحدائق المفتوحة والمسطحات الخضراء من أجل عيون سكان مدينة الرياض ومرتاديها..

ليس لأن تلك الحدائق ستكلف ميزانية الدولة مبالغ باهظة؛ خصوصاً في مدينة صحراوية تعاني من شح المياه وقسوة المناخ مما يضاعف تكاليف زراعة الحدائق والعناية بها؛ وإنما لأن السواد الأعظم من مرتادي تلك الحدائق بصراحة عندنا لا يستحقونها!

إن من لا يحافظ على المرافق العامة، ولا يقدر قيمتها لا يستحق أن تنشأ من أجله تلك المرافق. فالحدائق والمسطحات الخضراء لا يستحقها إلاّ من يغار عليها من عبث العابثين، ومن يغضب لرؤية قشر

* الجمعة ١٢ شوال ١٤٢٩هـ (١١/١٠/٢٠٠٨م)، العدد (١٣١٦٢).

اللب أو الفصفص عليها، ويعد اندلاق شيء من المشروبات الغازية على أرضها جريمة بيئية تستحق المساءلة والعقاب؛ كما هو الحال في سويسرا أو النمسا أو ما جاورهما من البلاد الأوربية، وكما هو الحال في دول مثل الصين واليابان وكوريا وماليزيا..

أما من يستمتع بالحدائق استمتاعاً غير مسؤول، فيدخلها بفوضوية، ويغادرها وقد ترك جميع مخلفاته على الأرض بلا مبالاة، فيحيل الخضرة إلى ألوان أخرى حسب ألوان مخلفاته، ويدع لأطفاله العبث بأشجارها وأحجارها ونوافيرها؛ فلا يستحق أن تنشأ له المسطحات الخضراء..

إن الحدائق والمسطحات الجمالية لدينا تتميز بكلفة عالية تختلف عنها في البلدان الأخرى ليس للأسباب المشار إليها في بداية المقال، وإنما لأنها تحتاج إلى فريق من عمال الصيانة وفريق من عمال النظافة يبلغ أضعاف ما تحتاجه مثيلاتها في الدول التي يعي مواطنوها أهمية النظافة، ويدركون معنى المحافظة على المرافق

العامة من عبث الأطفال والمراهقين!!

كم هو مؤلم أن نتخلّف عن دول العالم في مجال السلوك الاجتماعي المتعلق بالنظافة؛ خصوصاً في الأماكن العامة التي هي من مقومات شريعتنا الإسلامية لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ الآية.. ومن أساسيات ديننا الحنيف قول نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام: "إماطة الأذى عن الطريق صدقة"..

فكيف بمن يضعها في الطريق وفي الأماكن العامة التي يقصدها الناس للراحة والاستجمام؟، وكيف بمن يرمي أكياس القمامة وعلب المشروبات المعدنية والزجاجية في مياه البحر غير مكترث بتلويث شواطئنا التي حبانا الله إياها نظيفة عذراء؟

لقد سمعنا قبل سنة عن نظام غرامات رمي المخلفات، واستبشرنا به خيراً، لأننا اعتقدنا أن تطبيق هذا النظام سيجعلنا مثل بقية دول العالم التي تحترم النظافة وتحافظ على البيئة، إلاّ أن تلك الفرصة لم تتحقق، لأن ذلك النظام لم يتم تطبيقه حسب ما أعلن عنه، وربما

يكون قد طبق على استحياء وعدم قناعة في بعض المناطق، فكانت النتائج هزيلة، فما أحوجنا إلى تطبيقه بصرامة وحزم..

لقد صرح المسؤول عن نظافة مدينة الرياض الصديق المهندس أحمد البسام قبل أيام بأن الرياض يعمل فيها (٧٠٠٠) عامل نظافة تابعين لأمانة مدينة الرياض، وهؤلاء لو أضيف لهم عمال النظافة في الدوائر الرسمية والجامعات والمدارس والمنازل ومؤسسات القطاع الخاص، فكم سيكون عدد عمال النظافة في مدينة الرياض؟

أعتقد أن عدد عمال النظافة في مدينة الرياض يفوق عدد عمال النظافة في مدينة لندن أو باريس أو جنيف.. والسبب هو الفارق الكبير بين سلوك الناس في مدينة الرياض أو أي مدينة سعودية وبين تلك المدن العالمية التي يَعُد كل واحد من سكانها نفسه مسؤولاً عن نظافة مدينته ونظافة بلده، في حين يعتقد نظيره السعودي أن النظافة من مسؤولية عمال البلدية فقط!

وما أكثر ما سمعنا أولئك المستهترين بأصول النظافة عندما نقول لأحدهم: "لا ترم المخلفات من نافذة السيارة، أو لا تتركها على الأرض!"، فيرد بلا حياء: "أجل عمال البلدية وش فايدتهم؟".

لهذا أعتقد أن المسطحات الخضراء تكشف سوءاتنا، وتفصح عن ثقافة التخلف التي يعاني منها كثير من أبناء مجتمعنا، وإن تزينوا بمظاهر التحضر، وركبوا أغلى السيارات، وسكنوا أفخم المنازل!



٣٢. إلى المسؤولين عن مصائفنا في عسير (١-٢)*

بيني وبين مصائفنا الجميلة في عسير علاقة عشق جعلتني أواظب على زيارة المنطقة كل صيف مدفوعاً بإعجابي بجوها العليل وخضرتها الآسرة، واعتزازي بتاريخها البطولي المجيد، وعلاقاتي الشخصية مع أصدقاء كرام من أهلها الذين تجري في عروقهم وملامحهم وأخلاقهم دماء العروبة النقية التي شهد لهم بها نبي الهدى عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة ليس هذا مجال ذكرها..

ولست هنا بصدد تعداد محاسن تلك المصائف ومميزاتها وما حباها الله من خيرات وخصائص جعلتها درة يقصدها المصطافون من داخل المملكة وخارجها، لكنني سوف أتحدث عن بعض المشاهدات التي تحز في النفس، وتكدر المتعة بتلك المصائف الساحرة، ومن

---

* الجمعة ١٨ شوال ١٤٢٩هـ (١٧/١٠/٢٠٠٨م)، العدد (١٣١٦٨).

تلك المشاهدات ظاهرة التسول التي تلفت الانتباه في المساجد وفي تجمعات المصطافين، حيث يمارس التسول بشكل ظاهر من قبل أفراد يتسللون عبر المنافذ الحدودية بطرق نظامية وغير نظامية، فينتشرون في مدن المنطقة وقراها، ويزعجون الأهالي والمصطافين، ويشوهون الوجه المشرق للسياحة الداخلية..

لقد تأكد لي من خلال متابعتي لكثير من أولئك المتسولين أنهم يعملون لحساب عصابات منظمة تجندهم لهذه المهمة، وتديرهم بدهاء، بعد أن تسيطر على ولائهم بأساليب غامضة من الترغيب والترهيب حتى تحكم قبضتها عليهم وتضمن تبعيتهم..

وقد روى لي أحد الأقرباء الذين يقيمون أثناء الصيف في منطقة السُّودة، وهو ثقة، أنه لاحظ في إحدى المرات من بعض المتسولين أموراً تثير التساؤل، ودفعه الشك في تصرفاتهم إلى مراقبتهم، وكان مسكنه في أطراف السُّودة خارج مدينة أبها، فلاحظ أن أولئك المتسولين ينطلقون من نقطة تجمع في مخيم مقام في

أحد الأودية السحيقة البعيدة عن أعين المارة، ثم يتوزعون بنظام دقيق على مكان الاصطياف، وفي ساعة محددة يعودون لمخيمهم ويختفون عن الأنظار، ليعودوا في ظهر اليوم التالي مع تزايد كثافة المصطافين، كما لاحظ أنهم أثناء وصولهم إلى ميدان عملهم يتبادلون إشارات خاصة فيما بينهم، وأنهم يتمركزون في نقاط محددة، ويتوزعون في مسافات متقاربة، مما يدل على أنهم يعملون في مجموعات تخضع لرقابة صارمة من زعمائهم!!

كما أضاف أنه عندما ناقش أمرهم مع أحد أصدقائه العاملين في إحدى المحلات التجارية في المنطقة وهو من أبناء جنسية أولئك المتسولين، كان امتعاض ذلك الرجل الشريف واضحاً، وتحسره شديداً على حال مواطنينا الذي ينخدعون بأولئك، حيث أكد أن تلك الفئة ليست إلاّ عصابات منظمة في بلده، لهم تنظيمات قوية تستطيع اختراق الأنظمة والتمرد على الجهات المسؤولة في بلادها. كما أضاف أن أكثر ما يساعد على

تقوية تلك العصابات ويجعلها تصل إلى أهدافها وتقاوم جهات مكافحة التسول في بلادها وفي بلادنا هو ما تجده من الكرم والبذل السخي من أبناء المملكة بالرغم من تحذير السلطات في البلدين من التعامل معهم..

وبالفعل فإن من أهم معوقات مكافحة التسول المنظم في مصائفنا ومشاعرنا المقدسة هو التعاطف الساذج لكثير من مواطنينا مع أولئك المتسولين، والانخداع بأساليبهم، والاندفاع نحو تصديقهم والتصدق عليهم، وعدم الإصغاء لتحذيرات الجهات المعنية من التعامل معهم، وتجاهل مطالبة المواطنين الفطنين بالكف عن إعطائهم.

لكن الأمر المثير للتساؤل والاستغراب لدى كثير من المواطنين المنزعجين من هذا الأمر هو تراخي الجهات المعنية في منطقة مصائف عسير في تتبع تلك العصابات، والوصول إلى نقاط تجمعهم، وكشف تنظيماتهم وتعرية حقيقتهم، وتوعية المواطنين

والمصطافين بشأن التعامل معهم..

إنني أهيب بأمير منطقة عسير وبقائد شرطة المنطقة، وكل المسؤولين عن الأجهزة ذات العلاقة؛ أن يولوا هذه الظاهرة جل عنايتهم، وألاّ يكلوا تلك المهمة إلى صغار الموظفين الميدانيين الذين قد لا يدركون أهمية الموضوع، والذين قد يتعاطف الكثير منهم مع أولئك المتسولين عن حسن نية أو عن سوء نية!



٣٣. إلى المسؤولين عن مصائفنا في عسير (٢-٢)*

عندما نتحدث عن الظواهر السلبية التي يلحظها الزائر لمصائفنا في عسير، فإن هذا لا يعني أنه ليس هناك جوانب إيجابية، ولا يعني أننا نميل إلى إبراز السلبيات والسكوت عن الإيجابيات، وإنما هي ملحوظات نسوقها إلى المسؤولين من باب الحرص على تلافي السلبيات، والمحافظة على الإيجابيات التي تحققت بفضل الله ثم بفضل عناية المسؤولين وسعيهم إلى التطوير والتحسين.

ومن الأمور التي تشوه الوجه الجميل لمصائفنا في عسير على وجه الخصوص، ممارسة الغش المكشوف الذي يمارسه باعة العسل بلا خشية من الله ولا حياء من خلقه، ولا خوف من السلطة. فما أن يدخل المصطاف منطقة عسير عبر طرقها الجبلية الجميلة، وما إن تكتحل عيناه برؤية مناظرها البهية، وتتنفس رئتاه هواءها العليل حتى يلفت

* السبت ٢٦ شوال ١٤٢٩هـ (٢٥/١٠/٢٠٠٨م)، العدد (١٣١٧٦).

انتباهه منظر عشرات السيارات والأكشاك المتناثرة على جنبات الطريق لبيع العسل..

ومما يزيد جذب المارة للتوقف والتسوق الأساليب المستخدمة بذكاء لعرض العسل وأدواته وباعته بطريقة تجذب الزبائن وتغريهم بالشراء؛ خصوصاً وأن السواد الأعظم من المصطافين تنقصهم الخبرة اللازمة لمعرفة جيد العسل من رديئه، والتفريق بين صحيحه ومغشوشه..

فأول تلك الأساليب: لباس البائعين الذين يتنكرون بملابس ومظاهر توحي بأنهم من أهل الجبال المشتغلين بتربية النحل وإنتاج العسل وبيعه من المنحل إلى الزبون مباشرة، في حين أن بعض أولئك الباعة يحترفون الغش بمعنى الكلمة، فبعضهم موظفون لا يشتغلون بهذه المهنة إلاَّ بعد انتهاء ساعات عملهم الحكومي، وبعضهم من العاطلين الذين يمارسون التجارة الموسمية، ويسعون إلى الثراء والكسب دون حسبان للحلال والحرام!!

وثاني تلك الأساليب الجذابة: هو استخدام أواني العسل الشعبية التي توحي بأن هؤلاء الباعة من أهل الأرض البسطاء، بينما هم متنكرون بأزيائهم وأوانيهم وأدواتهم..

أما ثالث تلك الأساليب: فهو استعمال الخلايا الشمعية بذكاء واحتراف ليبدو العسل وكأنه أخذ من مناحله للتو، ولم تشبه شائبة..

أما الوسيلة الأخيرة لاصطياد الزبائن فهي مرونة المساومة، فبعد أن يطلب البائع سعراً عالياً، كأن يطلب مبلغ خمس مئة ريال للإناء المراد بيعه، لا يلبث أن يتهاود مع الزبون إلى أن يصل إلى ثلاثين أو عشرين ريالاً!

وقد ثبت بالتجربة وبالواقع أن أولئك الباعة يبيعون عسلاً مغشوشاً، غالبه من العسل الصناعي الرخيص، والمعبأ في تلك الأواني أو المخلوط مع قليل من العسل الأصلي دون ترك ما يظهر التلاعب فيه.

إن ترك هؤلاء يمارسون الغش باسم تشجيع السياحة، أو تحت

أي سبب آخر هو تصرف لا مبرر له، بل إنه تصرف خاطئ، سيظهر صداه وتأثيره السيئ على سمعتنا وسلوكنا التجاري في المستقبل القريب.

لماذا لا يستفيد المسؤولون في منطقة عسير من تجربة بيع التمور في منطقة القصيم أو المدينة أو الأحساء وغيرها، التي يتبارى فيها المنتجون والبائعون في إنتاج أجود أنواع التمور وعرضها بطريقة تسويقية مقبولة وبتنافس شريف، أدى إلى كسب ثقة المشترين، ورفع سمعة منتجات مناطقهم ومباركة تجارتهم وإيراداتهم، وصار كبار الزبائن يشدون الرحال إلى تلك الأسواق، ويتبضعون منها، ويدفعون مبالغ طائلة لأنهم يجدون المصداقية والنزاهة لدى بائعي التمور، في حين لا أحد يثق بباعة العسل المشار إليهم إلاّ إن كان من المغفلين!!



٣٤. سوء الأخلاق.. وسوء العقاب!! *

استخلف الله الإنسان في الأرض ليعمرها، وهو يعلم أنه قد يدَمِّرها، ولذلك فقد تساءل الملائكة الكرام عندما أخبرهم ربهم عز وجل أنه جاعل في الأرض خليفة، قائلين: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون.

وأخبر سبحانه وتعالى - ولا مبدل لحكمه - أن حياة الإنسان على الأرض تستلزم وجود نظام رباني متكامل، وتقوم على عبادة الله وحده؛ وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، حتى تتحقق عمارة الأرض والكون على الوجه المطلوب، وليسعد الإنسان في حياته ويفوز بالخلود بعد مماته.. فكانت الطاعة وامتثال مراد الخالق مقياساً للتعمير والتدمير، وعليها يتوقف إدراك السعادة والشقاء، وفيها

* الجمعة ١٦ ذو القعدة ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/١١/١٤م)، العدد (١٣١٩٦).

أسباب البقاء والفناء..

ولم يترك الله سبحانه وتعالى للإنسان من حجة، فبعث رسله مبشرين ومنذرين وأنزل كتبه هدى للمتقين، وإنذاراً للكافرين. ولهذا فما من إنسان سَوِي إلاّ ويعرف مصير الأمم السابقة، ويعرف أن بأس الله لا يرد عن القوم الكافرين. ويعرف أيضاً أن التمادي في البعد عن الله، والإيغال في الظلم والعدوان وسوء الأخلاق سبب للهلاك والدمار، واستبدال الأمة المسرفة المنحرفة عن الطريق القويم بأمة جديدة، وهكذا تسير الحياة على هذه الأرض، وتلك سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولا تحويلاً..

وسأقف هنا عند موضوع سوء الأخلاق؛ لنعرف أين نحن؟ وأين كنا؟، وهل نحن سائرون بالاتجاه الصحيح، أم بالاتجاه المحذور؟.

الواقع أننا إذا نظرنا إلى حالنا في هذه الأيام مقارنة مع حالنا قبل عقدين أو ثلاثة، لوجدنا أن حالنا في كثير من جوانبها لا تسر

الناظرين، ولا يطمئن لها الذين يخافون من عواقب الأمور!! لقد ظهر في السنوات الأخيرة سلوكيات لم تكن معروفة في أسلافنا..

فلم نكن نسمع في السابق أن العقوق في الوالدين قد يصل إلى ضربهما، ولم يتصور أحد أن يصل ذلك إلى حد أن يقتل الأبناءُ آباءهم أو أمهاتهم.. ولم نسمع في سلوكيات آبائنا وأجدادنا أن يتحرش الإخوان بإخوانهم وأخواتهم، أو الآباء بأبنائهم وبناتهم.. ولم نسمع في الأجيال الماضية أن يتاجر الإنسان بأعضاء إنسان آخر، مستغلاً حاجته وفقره وضعفه ليساومه على كليته أو عينه أو قلبه أو غير ذلك دون شفقة أو رحمة!!

لم يعرف آباؤنا أن يخاف المعلم من تلميذه، ولم يتصوروا أن يمارس الشاب ضربَ معلمه بلا حياء ولا رادع.. ولم نعرف أن طلبة المدارس يحملون في حقائبهم السكاكين والمطاوي، ويمارسون الطعن في مضاربات عبثية تؤججها العصبية القبلية أو التحيزات الإقليمية، وكأنهم على موارد المياه في قلب الصحراء، لا على مقاعد الدراسة

في قلب المدن العصرية!

لم يعرف أجدادنا عصر العولمة الذي أصبح فيه الكذب على المستهلك حلالاً، وبخس الموازين شطارة، والتلاعب بحجم العبوة أو شكلها على حساب المضمون فناً من فنون البيع والتجارة، يتباهى به البائع، ويسكت عنه المستهلك!

أما أخلاقيات العفة عن المحارم وغض البصر عن نساء المسلمين، في عصر الفضائيات والجوالات والفيديو كليب، فهي أخلاق لا تسر ولا تبهج..

لن نتحدث عن أسباب هذا الانحدار الأخلاقي، ولن نتطرق إلى العوامل والمؤثرات التي أفسدت العقل العربي، وقضت على روح الفضيلة التي كانت الحصن الحصين لحماية الإنسان والمجتمع من سلوكيات الفوضى الأخلاقية التي تؤدي إلى نقض البناء الاجتماعي السليم حجراً حجراً. وإذا تهاوى بناء المجتمع تهاوت حصون الحياة الكريمة، وفقد الإنسان إنسانيته..

وليس بعد فقد الإنسانية إلاّ حياة بهيمية لا يأمن الكريم فيها على كرامته، ولا يطمئن فيها الشريف على شرفه، لأن حياة الفوضى لا يقام فيها عدل، ولا يؤخذ فيها حق، وإذا وصلت الأمة إلى هذا الحد - والعياذ بالله - أذن الله بعذابها، وأذاقها لباس الجوع والخوف، ومستها الضراء، فإن لم تعتبر وترجع إلى الحق، أذن بزوالها واستبدالها بقوم آخرين، وما بكت على أهلها السماء والأرض، وما كانوا منظرين!



٣٥. أرباح العقاريين.. هل هي خير أم شر؟*

أرجو أن تتسع صدور العقاريين لمقالي هذا، وألاَّ يعدوه من حسد القاعدين أمثالي؛ فقد لفت انتباهي ما ذكرته بعض الدراسات الاقتصادية بأن أرباح العقار قد حققت ما يقارب ٣٠٪ لتبلغ بضعة مليارات خلال السنة الماضية..

والسؤال الذي خطر ببالي هو: هل هذا المؤشر يعد مؤشر خير، أم مؤشر شر بالنسبة لعامة الشعب السعودي؛ خصوصاً فئة الشباب المتطلعين إلى امتلاك منزل العمر. الذين يمثلون ما يقارب ٧٥٪ من المجتمع السعودي حسب الإحصائيات الحالية والمتوقعة للسنوات القليلة القادمة؟.

وإذا علمنا أيضاً أن ٧٠٪ من أبناء الشعب السعودي بشبابه وأشيابه لا يملكون مساكن حسب تصريح حديث لأحد المختصين

---

* الجمعة ١٤ ذو الحجة ١٤٢٩هـ (١٢/١٢/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٢٢٤).

بشؤون العقار، الذي ذكر أيضاً: "أن السوق السعودي بحاجة إلى ثلاثة ملايين وحدة سكنية خلال العشر سنوات القادمة"..

وكنت أتمنى لو أن هذا العقاري المتخصص أوضح على من تقع مسؤولية هذه المشكلة الاجتماعية المزمنة.. هل هي على الدولة؟ أم على العقاريين؟ أم على نظام تجارة العقار في بلادنا؟

ومع أنني لست متخصصاً في العقار، ولا أعاني من هذه المشكلة لأنني أملك منزلاً بفضل الله؛ إلاّ أنني أشعر بمعاناة الشباب من أبنائي وإخواني وأقاربي ومعارفي الذين يمثل السكن لهم أولوية مهمة في حياتهم، مما يجعلهم يحملون هم تملك مسكن مناسب لهم، وذلك من أوجب حقوقهم الاجتماعية والمدنية..

ولا شك أن لنظام الحرية المطلقة للعقاريين في تملك الأراضي حتى وإن كان بالشراء، أو بوسائل التملك الأخرى كالمنح، أو الإحياء، أو وضع اليد بأساليب لا تخلو من التحايل

على الأنظمة، ثم إعطاء العقاريين الحرية في احتكار الأراضي وبيعها للمواطنين بشروط وبأسعار يحددها العقاريون أنفسهم عن طريق المضاربات والمزايدات والمساهمات العقارية بلا حسيب ولا رقيب دوراً في تفاقم هذه المشكلة..

لهذه الأسباب أصبح ٧٠٪ من الشعب السعودي لا يملكون مساكن العمر، مع أن الفرد السعودي يملك أكبر نسبة من الأكيال المربعة مقارنة مع كثير من دول العالم، لما تتمتع به بلادنا من مساحات صحراوية واسعة. فإحصاءات الأمم المتحدة التي تقدر عدد سكان المملكة في منتصف عام ٢٠٠٧م بما يقارب ٢٧ مليون نسمة، تشير إلى أن الكيل المربع الواحد يقابله (١٢) نسمة فقط؛ بما في ذلك المواطنون والمقيمون. ولا شك أن هذه نسبة منخفضة جداً إذا ما قورنت مع دول عالمية أخرى؛ إذ إن معدل السكان للكيل المربع هو (٣٩٥) نسمة في هولندا، و(٢٤٦) في بريطانيا و(٢٣٢) في ألمانيا، و(١٩٣) في إيطاليا، و(١٧٦) في سويسرا،

و(١٢٧) في الدانمرك!

ولهذا السبب فإن أرباح العقاريين التي يتباهى بها قِطَاع المال والأعمال قد لا تكون مؤشر خير ورفاهية بالنسبة للمواطن العادي؛ بل إنها مما يزيد في معاناته، ويبعد المسافة بينه وبين تحقيق حلمه في الحصول على سكن خاص!

ولا أنسى هنا أن أذكِّر بأن هاجس الحصول على سكن مستقل والحاجة الملحة للسكن الخاص، جعلت الكثير من المواطنين يستجيبون لدعايات تملك السكن عبر المشاريع السكنية التي يُعلن عنها بعض هوامير العقار، وغالباً ما يقع المواطن المغلوب على أمره ضحية لألاعيب أولئك العقاريين، ونصابي المساهمات العقارية!!

وفي الختام؛ لا أنسى أن أشيد بالنظام الجديد الذي انتهت وزارة التجارة من وضعه مؤخراً، بهدف حماية المواطن، وقطع الطريق على المتلاعبين بمشاريع التطوير العقاري، ومع أن هذا

النظام يتضمن مواد جيدة وقوية للحد من استغلال أصحاب المساهمات العقارية، إلاّ أن نجاحه سيتوقف على مدى سرعة إقرار النظام، وكيفية تطبيقه، فهل سنتمكن من تطبيق النظام بحزم، ونحن الذين عجزنا عن تطبيق نظام ربط الحزام، ونظام منع التدخين في المكاتب والمطارات؟؟



٣٦. قنوات التسطيح الفكري![*]

إذا كنا نشتكي من دَور الغزو الثقافي الاستعماري في إضعاف ارتباط الأمة بمبادئها وأفكارها الدينية التي كانت هي أساس قوتها، فإن الغزو الفكري المحلي الذي تقوم به بعض القنوات الفضائية القادمة من الصحراء العربية هذه الأيام أشد إيلاماً وخطورةً، وأسرع تأثيراً على عقليات شرائح كبيرة من مجتمعنا الخليجي.

إن القنوات التي تتزين باللباس السعودي، وتنطق باللسان البدوي المحلي، وتبث برامجها الهزيلة على مدار الساعة، لهي أكبر خطراً من وسائل الإعلام الغربية لأسباب كثيرة منها: أن هذه القنوات تبث برامجها بلغة عامية يفهمها البسطاء والعوام شباباً وكهولاً، ويتفاعلون معها أكثر مما يتفاعلون مع لغة

* الأحد ١٦ ذو الحجة ١٤٢٩هـ (١٤/١٢/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٢٢٦).

وسائل الإعلام غير المحلية. يضاف إلى ذلك أن هذه القنوات تتبارى في طرح مواضيع يطرب لها أولئك البسطاء والعوام مثل إشباع رغباتهم في إظهار الأمجاد الأسرية الذاتية، والضرب على وتر المفاخرات العصبية القبلية، وإبراز الفوارق الإقليمية، من خلال ترديد قصائد المدح والثناء، ونشر معلقات التمجيد والإطراء على حساب أطراف محلية أخرى، ولأن الكثير من الأسر والقبائل في الجزيرة العربية ليس لها في الوقت الحاضر شيء من الإنجازات العلمية والتجارية والصناعية ما يمكن أن تتباهى بها، فليس أمامها إلاّ اجترار الماضي الذي يقوم على ثقافة القتل والسلب والنهب، وما يلازمه من عنتريات الثأر والانتقام من قتل الطرف الآخر، واسترداد الناقة المسلوبة، أو نهب ما يقابلها من الطرف الآخر، مع مبالغة الشعر في تصوير تلك الحوادث الغوغائية الجاهلية، وجعل البطل هو الذي يقتل أكبر عدد ممكن من منافسيه، ويقضي على الآخرين بأشنع وسيلة وأبشع

طريقة، وأن يكون القتل عند الإبل هو أنبل الأمجاد التي يتكئ عليها تاريخنا، وكأن المقتولين ليسوا عرباً ولا مسلمين!

إن تاريخنا الحقيقي لا ينحصر في ما عشناه في زمن الفوضى والجهل والفرقة، وإنما هو في ديننا ووحدتنا ولغتنا التي كنا نباهي الأمم بفصاحتها. إنه في الرجال البارزين في الدعوة والعلم والبناء والفتوحات!

أليس من المخجل أن يكون دور هذه القنوات هو ترسيخ هذه الثقافة الجاهلية، ونشر اللغة العامية، وإحياء الثارات القبلية، وجعلها هي المرتكز لتاريخنا وماضينا الذي نتباهَى به ونعلمه لأبنائنا وأجيالنا، وهي الثقافة التي يتكئ عليها مجدنا الاجتماعي.

إن ترسيخ هذه الثقافة المخجلة يؤدي إلى إشغال الأجيال المعاصرة عن التفكير في أمجاد الأمة الحقيقية التي تمثلت في نشر هذا الدين في أرجاء المعمورة. وما واكب ذلك من سيادتنا للعالم

لعدة قرون، كما أن تسليط الضوء على أمجاد القبيلة والإيحاء بأنها فوق الآخرين، يلهينا عن تسليط الضوء على أعلام الأمة الحقيقيين وعلى رأسهم رسول الهدى وخلفاؤه الراشدون وصحابته الكرام، وأعلام الفاتحين والعلماء الذين أناروا للأمة طريقها، والزعماء المجددون من بعدهم وعلى رأسهم موحد هذه البلاد ورجاله المخلصون، ومن سار على نهجهم من القادة الكرام الذين أبلوا بلاءً حسناً في انتشالنا من ثقافات السلب والنهب وقطع الطريق إلى ثقافة العلم والبناء، وحافظوا على جمع كلمتنا على الحق.

إن المسؤولية الشرعية والمصلحة الوطنية العليا تتطلبان من المسؤولين والمواطنين الوقوف في وجه تلك القنوات المشبوهة وطواقمها الجاهلة التي لا تعي خطورة الأمر، ولا تفكر إلاّ في كسب الشهرة والمال، حتى ولو كانت تزرع الفرقة بين أبناء الوطن، وتؤجج مشاعر الكراهة والعداء بين قبائله وحواضره، وتهدد المصالح الوطنية العاجلة والآجلة!

ما أحوجنا إلى وقف هذه القنوات التي تتعمد إعادتنا إلى ثقافة الجهل بدلاً من ثقافة العلم، وإلى تمجيد الماضي المشين بدلاً من شحذ الهمم للمستقبل الواعد!

إن هذه القنوات مطالبة بالإسهام في انتشال الأمة من تخلفها، بدلاً من ترسيخ التخلف لغةً وفكراً. وأن تدفعنا إلى الأمام بدلاً من جرنا للخلف، بما تثيره من نعرات قبلية، وما تبثه في نفوس الجهلاء من التمسك بقشور الأمجاد الوهمية..



٣٧. أسباب التحايل على أنظمة الحج!*

بعد أن يَسَّرَ اللهُ موسمَ هذا الحج، وأتم وفود بيت الله حجهم بفضل الله وتوفيقه، ثم بفضل الجهود الجبارة التي تبذلها الجهات المعنية في هذه البلاد، أود أن أعيد التذكير بموضوع مهم وخطير، وهو ظاهرة التحايل على أنظمة الحج التي فرضتها الدولة لأسباب داخلية وخارجية الهدف منها السيطرة على انسيابية الحج، وتساوي الفرص لجميع المسلمين بعد أن فاقت أعداد الحجاج القدرة الاستيعابية للمشاعر المقدسة، وأصبح ولي الأمر مضطراً للبحث عن حلول لهذه المعضلة.

وقد كان من نتيجة ذلك اتخاذ عدد من القرارات التنظيمية التي من أهمها وأولها ضرورة الحصول على رخصة أو إذن رسمية للحج، والسماح للمواطن والمقيم بالحج مرة كل خمس سنوات للتأكد من

---

* الثلاثاء ١٨ ذو الحجة ١٤٢٩هـ (١٦/١٢/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٢٢٨).

عدم تكرار الحج سنوياً.

وكان ثانيها إلزام حجاج الداخل بالحج عن طريق مؤسسات أو حملات الحج، ومنع استخدام السيارات الفردية للحد من تزايد أعداد السيارات في مكة المكرمة في موسم الحج.

وثالثها سعي الدولة - وفقها الله- بكل جد واجتهاد لتوسيع المشاعر المقدسة، وإنشاء الجسور والأنفاق، وعمل كل ما يمكن عمله من أجل زيادة الطاقة الاستيعابية والتيسير على حجاج بيت الله. غير أنني هنا سأتوقف عند القرارين الأول والثاني لأناقش ظاهرة مقلقة؛ ألا وهي لجوء بعض حجاج الداخل إلى التحايل على هذين التنظيمين، ومحاولة الحج دون الحصول على إذن، ودون الانضمام إلى حملات الحج!!

وقد سألت كثيراً من أولئك الحجاج، فأجابوا بأن السبب هو ارتفاع تكلفة الحج مع الحملات الجماعية، وأن ذلك فيه استغلال ظاهر من قبل بعض الانتهازيين والمتاجرين بحجاج بيت الله، حتى

أصبحت ورقة الحصول على الرخصة تباع لطالب الحج بمبلغ ثلاثة آلاف ريال أو أكثر؟

ويرى كثير من المواطنين أن ربط رخصة الحج بتلك الحملات هو السبب الرئيس في العزوف عن الحصول على الرخصة.. أما السبب الثاني والأخطر في نظري فهو التحريض غير المعلن لبعض علماء الدين ضد هذا التنظيم، وإيحائهم للعامة بأنه لا غضاضة في الحج دون الحصول على الرخصة الرسمية..

بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، ليقول للعامة والبسطاء إن هذا التنظيم نوع من الصد عن الحج إلى بيت الله، وأنه يدخل في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)(٢٥) سورة الحج.

والأخطر من هذا أن يقول ذلك علماء محسوبون على العلم الشرعي وعلى الدولة، غير ناظرين إلى ما يترتب على ذلك من

مفاسد، وغير آبهين بمسألة طاعة ولي الأمر، ولا مقدرين لعاقبة تحريض الدهماء على كسر الأنظمة التي يصدرها ولي الأمر للمصلحة العامة للمسلمين!

سمعت عن هذا من أكثر من واحد، وسمعت بأذني ما هو أخطر من ذلك فقد كنت في محاورة مع أحد المقيمين المتمردين على تنظيم حجاج الداخل، وهو يقول متبجحاً: أنا أحج كل سنة بدون رخصة! فقلت له: كيف تعصي ولي أمر المسلمين في البلد الذي آواك؛ في هذه المسألة التي وضعت من أجل خدمة الحجاج؟ فكان رده أن قال: "ليس هناك ولي أمر منذ أن منع الجهاد في أفغانستان!!".

إن هذا وأمثاله كثر في مجتمعنا للأسف، لكن أن يصل الأمر إلى بعض العلماء والمتنفذين فهذا هو الشر بعينه! ولا أدري كيف يفوت على أولئك أن الذي أمر بتلبية نداء إبراهيم عليه السلام هو الذي أمر بطاعة ولي الأمر في غير معصية الله!

أهيب بالمسؤولين بإعادة النظر بمسألة إلزام الحاج السعودي

بالحملات التجارية لأن السعوديين فيهم من يملك سكناً في مكة، أو لديه أقارب وأصدقاء فيها، مما يجعل إلزامه بالحج عن طريق الحملات سبباً لابتزاز أصحاب المكاتب، ويجعله يبحث عن حيلة يتخلص بها من دفع هذا المبلغ! أما أولئك الذين يفتون في الخفاء؛ فأرجو أن تنتبه الدولة لهم، وأن تحد من خطرهم في تأليب الناس ضد القيادة وأنظمتها الهادفة إلى تحقيق مصالح عليا قد لا يفهمها أولئك!!



٣٨. كيف السبيل إلى النهضة!*

دون إنكار ما نحن فيه من أمن واستقرار بالنظر إلى ما كانت عليه أحوال أجدادنا قبل توحيد هذه البلاد، أو مقارنة ما نحن فيه من رغد العيش مع ما تعانيه دول كثيرة في هذا العالم المعاصر من حولنا؛ إلاّ أنه ليس من عاقل إلاّ ويدرك أننا أمة متأخرة في كثير من النواحي العلمية والثقافية، وأمة تابعة لدول أقوى منها ثقافياً واقتصادياً، مع أن الثقافة والاقتصاد بمثابة القلب والرئتين للأمة، وهما أساس بناء المجتمعات؛ فإذا صلحا صلحت بقية الجوانب الأخرى التي تشكل بناء الدول ونهضتها.

فإذا ما نظرنا إلى الثقافة العامة لدى المواطن السعودي خصوصاً، لوجدنا أنه من أقل الشعوب قراءة وتعلماً وابتكاراً.. وبما أن الثقافة بمعناها الواسع تشمل أموراً كثيرة ومهمة، وبما أنه يمكن

* الأحد ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٩هـ (٢١/١٢/٢٠٠٨م)، العدد (١٣٢٣٣).

اعتبار السلوك العام جزءاً من الثقافة، فإن سلوك الفرد السعودي بوجه عام يتعرض لانتقاد ومآخذ لا يمكن السكوت عنها، فينظر إليه بأنه فرد أناني لا يقدر العمل، ولا يخلص له، ولا يعرف أهمية الوقت، ولا يستثمره استثماراً حقيقياً!!

كما ينظر إليه على أنه إنسان فوضوي لا يتمتع برقابة ذاتية تجعله يحترم الأنظمة، ويراعي أدبيات السلوك الحضاري، ويظهر ذلك في سلوكه مع النظافة العامة، ومع الأنظمة المرورية، ومع ميله الشديد إلى الاعتماد على المحسوبية والواسطة في إنجاز مصالحه..

أما على مستوى السلوك الاجتماعي، فهو ينشأ على الإحساس بوجود العصبية الإقليمية أو القبلية أو المذهبية، ويعيش على هاجس الشعور بطبقية المجتمع وتصنيفه إلى طبقات على أسس ضيقة، ولا يخفى تأثير ذلك في تقديم المنافع الذاتية على حساب المصلحة العامة كلما وجد إلى ذلك سبيلاً!

وفي مجال السلوك الاقتصادي فهو فرد استهلاكي يستهلك

أكثر مما ينتج، ويسرف أكثر مما يقتصد.. إلى آخر ما هناك من المآخذ الظاهرة والباطنة التي يوردها المراقبون لهذا المجتمع والناقمون عليه، والمبالغون في نقده!!

ولا شك أن شعباً يتهم غالبية أبنائه بهذه الصفات؛ شعب لا يمثل إلاّ دولة متأخرة، أو في طريقها إلى التأخر بدلاً من السير إلى التقدم.. وبالطبع فإن في هذا السلوك التخلفي خسارة للفرد أولاً، وللدولة ثانياً، وللأمة ثالثاً، وللعالم رابعاً..

وإذا سلمنا بأن شريحة من مجتمعنا تنطبق عليها تلك المواصفات، فإن السؤال الملح والأزلي هو: هل من سبيل إلى النهوض والإصلاح؟ وهل من سبيل إلى تغيير النمطية الاجتماعية السلبية التي يتهم بها الشعب السعودي خصوصاً؛ والعربي عموماً؟ وعلى من تقع مسؤولية ذلك؟ وكيف يمكن أن يتم الإصلاح؟

أسئلة جدلية متكررة، وإجابات كثيرة يمكن اختصارها في: أن الإصلاح يبدأ من الفرد، إذا تخلى عن الأنانية، وقدّم مصلحة الجماعة

والأمـة علـى مـصالح نفـسه، ولا يتحقـق ذلـك إلاّ مـن خـلال تربيـة مـسؤولة مـن الأسـرة والمدرسـة. فالأسـرة تربِّيـه علـى الأخـلاق الفاضـلة، وتزرع فيه سلوك حب الجماعة والأمة، وتعلمه الواقعية بدلاً من تلقينه العظمة والأمجاد الوهمية، وتغرس فيه روح التواضع والبساطة، بدلاً من المباهاة في المسكن والملبس والمركب. والمدرسة تمده بالمعرفة، وتلقنه ثقافة الإتقان والإبداع، وتعلمه الاعتماد على النفس. وإدارته في العمل تعلمه الإخلاص والتفاني في خدمة الآخرين، وتوجهه نحو اكتشاف الإمكانات والمهارات الكامنة في شخصيته، وتساعده على استثمارها على الوجه المطلوب.

أما السؤال الأزلي الذي نردده فهو: متى يتحقق ذلك؟ فهو يتحقق إذا قام كل من الأفراد والمؤسسات بتحمل مسؤولياته نحو النهوض والإصلاح، الذي حققته كثير من الدول، وعجزنا عنه حتى الآن!



٣٩. من يمنع وأد العشب والفقع؟!*

منذ سنوات طويلة لم تنعم بلادنا بأمطار موسمية مثلما نعمت به هذا العام بفضل الله ورحمته بالبلاد ولطفه بالعباد الذين ذاقوا شدة الجدب والقحط - خلال سنوات أو عقود مضت - مما أدى إلى نقص مخزون المياه الجوفية، وغور الآبار، وتوقف ما بقي في البلاد من عيون.

وفي أوج الشدة والقنوط تأتي رحمة الله، وتهطل الأمطار على كل أرجاء بلادنا، وتجري أودية لم تجر منذ بضعة عقود، ويقبل الخير عميماً، وترتسم البسمة على الشفاه، وتعود للصحراء بهجتها بعد سنوات من العبوس والاكفهرار، وصدق القائل: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

---

* الأحد ٢١ محرم ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/١/١٨م)، العدد (١٣٢٦١).

ومـــع أن فرحـــة الإنـــسان الغـــامرة بمـــاء الـــسماء في الـــبلاد الـصحراوية هـي هـي منـذ العـصور البدائيـة إلى عـصر المياه المحلاة والأعـلاف المـستوردة، إلا أن الـذي يظهـر أن أجيالنـا المعاصـرة أكثـر إسرافاً وأقل شكراً، وأسوأ تعاملاً مع هذه النعمة الإلهية..

فـــالأولون لم يكـــن لـــديهم ســـيارات ولا دراجـــات للتطعـــيس والتفحيط والدوران على وجه التلال الرملية المتشبعة بماء المطر؛ والرياض المتحفزة لتلبس رداءها الأخضر.. وليس لديهم أكوام من علب المشروبات الغازية والعصائر الصناعية والأكياس البلاستيكية ينثرونها بفوضوية على وجه المناطق البرية لتلوث غدرانها، وتشوه رياضها، وتلتف على أشجارها وتذهب بهاءها ونضارتها!

أقول هذا بعد أن ساءني كما ساء كثيرين غيري ما نراه من عبث غير مسؤول بالأرض جراء ممارسة المتنزهين والمفحطين ومن في حكمهم. فالعشب يداس بلا مراعاة، والفقع لا يسمح له بأن يكتمل وينضج، بل يتم نبشه من حين تكَوُّن نواته الأولى، والطيور المهاجرة

تستقبل بالقتل الجائر بمجرد أن تحط بأرجلها على أرض بلادنا، والطيور المحلية لا يسمح لها بالنماء والتكاثر!

لقد كان أجدادنا مع أميتهم أكثر إدراكاً منا لكيفية التعامل الواعي مع حلول مواسم الربيع والنماء من أجل المحافظة على الطبيعة والعناية بها حتى يكتمل نمو الأعشاب، وتسمق الأشجار، ويسمح للطيور بالتفريخ والتناسل، وللثدييات بالتوالد ورعاية صغارها، فيتكاثر الصيد ويكتمل نموه..

وكان من وسائلهم في ذلك حماية الأراضي الرعوية منذ سقوط المطر الوسمي إلى قرب نهاية فصل الربيع حماية كاملة تؤدي في النهاية إلى الانتفاع بكل خيرات الأرض طوال السنة.

والفكرة في ذلك سهلة جداً وليست مستحيلة أو صعبة التطبيق كما يتصورها المعاصرون الذين ينظرون إلى المسألة من خلال واقعهم الفوضوي الذي يشاهدون فيه أن الحماية لا يمكن

تنفيذها في زمن ضعف فيه الالتزام بالأنظمة والقوانين المتعلقة بالصالح العام!

وتتلخص الفكرة في أن كل أهل بلد كانوا يقسمون المنطقة الرعوية الخاصة بهم إلى قسمين، قسم يكون غير محمي يتوسع فيه الناس، والقسم الآخر يكون محمياً يمنع الدخول فيه للرعي أو الصيد أو جني الفقع (الزبيدي) أو الاحتطاب إلا بعد مضي وقت معين تنتهي فيه الحماية، ويستمتع الجميع بكل خيراته، فيأتون إليه وقد اكتمل نمو نباتاته وتكاثر صيده!

وتقسيم المناطق لهذا الغرض سهل جداً، فلو أخذنا منطقة العارض وما حولها مثلاً، التي تكثر فيها الرياض مثل روضة خزام وروضة خريم وروضة نورة وغيرها، فإنه يمكن حماية نصف الروضات وفتح النصف الآخر.

ولو أخذنا جنوب الرياض مثلاً فإنه يمكن تخصيص المنطقة الواقعة يمين طريق الخرج لمسافة بعمق ٢٠ أو ثلاثين كيلاً مثلا،

وفتح المنطقة المقابلة لها الواقعة يسار الطريق أو العكس، ويمكن تطبيق ذلك على كل مناطق المملكة.

إن مثل هذا النظام لا يكلف المجتمع شيئاً لكنه يعود بالنفع العميم، وبوفرة الكلأ والحطب والصيد.. فهل نعيد النظر في سلوكنا بهذا الخصوص، ونوقف وأد النبات والفقع، وإفناء الصيد، وتشويه الحياة الطبيعية؟.



٤٠. نظام القضاء.. والتطوير المنتظر!*

تفخر بلادنا بفضل الله بأن دستورها القضائي هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنها الدولة الوحيدة في هذه المعمورة التي تطبق كتاب الله في كل شؤونها. فالناس يتحاكمون في خلافاتهم إلى كتاب الله، والفصل في منازعاتهم مرجعه شرع الله عز وجل على يدي قضاة يحفظون القرآن والأحاديث والآراء الفقهية المتعلقة بالأحكام وإقامة الحدود وأخذ الحقوق ورد المظالم.

وقد اعتنت حكومتنا - وفقها الله - بالقضاء عناية كبيرة منذ تأسيسها على يد موحدها المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي كان يبذل عناية فائقة باختيار القضاة والتأكد من عدالتهم، وتعيينهم في المدن والقرى والتجمعات الحضرية والبدوية

* الجمعة ١٨ صفر ١٤٣٠هـ (١٣/٢/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٢٨٧).

في كل أنحاء البلاد، وكان - رحمه الله - يحترم القضاة ويجلُّهم، وينفق عليهم بسخاء، وفي الوقت نفسه كان يتابع أخبارهم ويراجع أداءهم، ويستمع إلى شكاوى الأهالي ضد قضاتهم، ويسارع في نقلهم واستبدالهم إذا لاحظ ما يستدعي ذلك.

وكان اهتمامه بهذه الناحية - رحمه الله - ينبع من إدراكه العميق لأهمية القضاء ودوره في استتباب الأمن، واطمئنان الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، لأن القضاء هو ميزان العدل، فإن صلح أخذ كل ذي حق حقه، وإن اختل ضاعت الحقوق، وانتشرت المظالم، وتسلط القوي على الضعيف!

غير أن توسع رقعة البلاد، وتضاعف أعداد السكان، وتعقد الأمور بعد دخولنا عصر الطفرة الاقتصادية؛ قد أدى إلى تغير الأحوال، فتضاعفت أعداد القضايا المنظورة، واختلفت أنواعها، وأصبحت أكثر تعقيداً، وأعظم حجماً ومسؤولية.

فقد تضاعفت أسعار الأشياء وقيمها، وما كان يقوّم بالآلاف

أصبح يقوّم بالملايين، وما كان بالملايين أصبح يقدر بالبلايين!

ولم تألُ القيادة جهداً في مواكبة تلك التغيرات، فصدر نظام القضاء في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز - رحمه الله- كما اهتم الملك فهد - رحمه الله- بتطوير القضاء، فصدر في عهده عدد من القرارات لتحسين القضاء مثل نظام المرافعات الشرعية، ونظام الإجراءات الجزائية، ونظام المحاماة، ونظام التسجيل العيني للعقار.

كما تم في عهده - رحمه الله - اتخاذ عدد من الإجراءات الهادفة إلى رفع سقف المزايا الوظيفية للقضاة لرفع أدائهم وتحسين أوضاعهم من أجل مضاعفة جهدهم في خدمة أصحاب القضايا وإنجاز معاملاتهم على الوجه المطلوب.

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - صدر نظام القضاء ونظام ديوان المظالم، وتم تخصيص سبعة مليارات ريال لتنفيذ هذين النظامين، وتم تكليف الوزارة بوضع الخطط والبرامج اللازمة لتنفيذ الأنظمة التطويرية الجديدة.

ولأن المسؤولين عن الجهاز القضائي وعلى رأسهم معالي وزير العدل يدركون ما يتعرض له نظامنا القضائي من انتقادات، ويسعون بكل حرص على معالجة أوجه القصور؛ فإنهم يبذلون جهوداً طيبة لتطوير نظام القضاء وآلياته.

وقد كان من آخر هذه الجهود ما قام به معالي الوزير مؤخراً من تدشين الخطة الإستراتيجية لتطوير مرفق القضاء التي وعد معاليه بأنها ستكون نقلة تاريخية ومرحلة جديدة من مراحل تطوير هذا المرفق الحيوي.

غير أن المتابعين لشأن القضاء في بلادنا لا زالوا يبدون تخوفهم من أن هذه المشاريع وهذه المليارات لن تحقق الأهداف التي تطمح إليها قيادتنا؛ ما لم يتم تطوير العنصر البشري، وتغيير ثقافته الإدارية ومفاهيمه وسلوكياته الوظيفية!

فالملاحظ أن السواد الأعظم من القضاة عندنا - إلاّ من شاء الله - يمارسون البطء في إنهاء المعاملات، وتأخير البت في القضايا،

وعدم الحزم مع المتلاعبين من أطراف القضية، فالقضاء في بلادنا لا يزال موضعاً لاتهامه بالتخلف والتعقيد والقصور في جوانب كثيرة!

وبعبارة أخرى فإن تخصيص المليارات وتوفير المرافق الحديثة لن تحل المشكلة ما لم يواكبها تطور في سلوكيات العاملين في جهاز القضاء ابتداءً من موظف الاستقبال ومروراً بكاتب العدل والقاضي وانتهاء برئيس المحكمة تجعلهم يتحررون من الهالة البرجوازية، أو الرهبانية والربانية التي يحيط بها بعض القضاة أنفسهم، فتجعلهم ينظرون إلى من لم يكن من طبقتهم وشاكلتهم بشيء من التعالي والفوقية، ويصنفون البشر تصنيفاً دينياً أو مذهبياً أو فكرياً، أو اجتماعياً؛ حتى أصبحت الابتسامة لا تعرف طريقاً إلى وجوه الكثير منهم ما لم يكن المراجع صديقاً أو مسؤولاً أو صحافياً!



٤١. خطر المواقع والقنوات العامية على الوحدة الوطنية!*

تتزايد الأصوات الواعية المحذرة من داء بدأ يستشري في أوساط العامة في مجتمعنا السعودي خصوصاً والخليجي عموماً، وهو داء إحياء النعرات القبلية من خلال قنوات الفكر العامي، ومواقع الإنترنت القبلية غير المسؤولة.

نعم، لقد تكاثرت الأصوات المستاءة مما وصل إليه الحال بهذا الخصوص، بعد أن اتضحت بوادر التعصب البغيض وتداعياته سواء كان قبلياً أو إقليمياً أو مذهبياً أو فكرياً..

لقد أطلت على مجتمعنا بوادر التعصب، واقتحمت بيوتنا ومدارسنا رياح التفاخر عبر تلكما النافذتين الإعلاميتين اللتين أسيء استخدامهما بشكل مؤسف!!

---

* الجمعة ٢٥ صفر ١٤٣٠هـ (٢٠/٢/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٢٩٤).

فهذه القنوات، وتلك المواقع التي كان من المفترض أن تخدم المجتمع بتعميق انتمائه الوطني، وترفع مستوى وعيه الثقافي؛ وإذا بها تنبش الوجه القبيح من الحياة الماضية، وتغرس في نفوس البسطاء وصغار السن عنتريات التفاخر القبلي، وتستثير حزازات الجاهلية الثانية، وتقدم شعراء المفاخرات والمطربين والمطربات، وتستبعد العلماء والمفكرين، لتفتح ساحتها للمراهقين وأصحاب الأسماء المستعارة، ليتباروا في تشويه وجه المجتمع من خلال رسائل الفخر بالذات، والطعن بالآخر!!

تذكرت هذا وأنا أقرأ بكل ألم تصريحاً مهماً لمسؤول له مكانته الوظيفية، وهو سعادة د. عبدالرحمن عسيري المشرف على كرسي الأمير نايف لدراسات الوحدة الوطنية، المنشور في الصفحة الأخيرة من جريدة عكاظ يوم السبت ٢٨ - ١٢ - ١٤٢٩هـ الذي حذر خلاله من وجود ما يقارب ٣٠٠٠ موقع إلكتروني قبَلي تبث الفرقة الوطنية، وتشعل الطائفية العرقية والقبلية، مما جعل تلك المواقع تحتل المرتبة

الأولى على رأس قائمة مهددات الوحدة الوطنية في بلادنا، وقد أوضح د. عسيري أن من أبرز المآخذ على تلك المواقع إثارتها للنعرات القبلية من خلال إيرادها لأخبار سابقة، وسرد وقائعها من باب المفاخرة والاعتزاز، لا من باب القراءة التاريخية الرصينة التي تستخلص العبر من التجارب السابقة لتنير الطريق للأجيال المعاصرة والقادمة على أساس ديني وطني، لا على أساس قبلي أو عرقي ضيق!

وقد يتساءل المرء: وهل في المملكة ثلاثة آلاف قبيلة؟ فأقول: إن القبيلة الواحدة قد تقسمت في هذه المواقع إلى قبائل وعشائر وأفخاذ، والأفخاذ إلى أسر..

بل إن القبيلة الواحدة أو الأسرة الواحدة قد أصبح لها أكثر من موقع، متباينة المشارب والاتجاهات، وكل موقع يسمي نفسه الموقع الرسمي لقبيلة كذا!!

إن هذه المواقع لا تهدد وحدة الوطن فقط؛ بل إن بعضها يؤدي إلى شرذمة القبيلة أو الأسرة نفسها، من خلال سعي كل موقع إلى

احتكار الأمجاد والبطولات والزعامات الفارغة، مما يؤدي إلى التنابز والتنافر!

إن الخطر لا يكمن في نشر أخبار تلك المعارك الغوغائية أو الزعامات الجوفاء فقط، وإنما بإيرادها بروايات ذاتية لا تعي متطلبات البحث التاريخي الموضوعي، ولا تدرك معنى الحيادية؛ فلا تتورع عن المبالغة في تصوير البطولات وتفخيم الزعامات والمشيخات، أو ترويج النقائص في الخصوم، ولا تعرف شيئاً اسمه التحقيق، ولا تأبه بمسألة التثبت من صحة الخبر وتفصيلاته، فضلاً عن دعوتها الصريحة إلى التغني بتلك البطولات الوهمية؛ بدلاً من التحذير منها، والدعوة إلى أخذ العبرة حتى لا تعود بنا الأمور إلى ذلك الزمن الرديء، لا قدر الله.

ولا يفوتني هنا أن أشكر كل من أسهم في نقد هذه الظاهرة، ورفع صوت الحق، وأخص الشيخ بدر الضيط الذي شخص الداء ووصف الدواء، في مقابلة سابقة له في هذه الجريدة، طالب فيها ملاك

تلك القنوات والمشرفين على القنوات الفضائية والمواقع الإنترنتية أن يراعوا الله في وحدة أمتهم ووطنهم، وأن يرتقوا إلى مستوى الأمانة والمسؤولية، وأن يضعوا مراقبين ومحررين مؤهلين، وأن لا ينساقوا وراء الأهداف الشخصية أو المكاسب الربحية على حساب مصلحة أمتهم ووحدتها التي رسخها موحد البلاد، وانتشلها بتوفيق الله من حياة الضياع والفرقة إلى حياة الوحدة والبناء.

وختاماً، فإن الوقت قد حان ليهب المخلصون من أبناء الوطن هبة واحدة لوقف هذا الداء الذي تزداد خطورته ويستفحل أثره يوماً بعد يوم!



٤٢. المنتديات الأدبية الخاصة..
صفاء يعكره المتطفلون*

إذا كانت ظاهرة المنتديات الأدبية (الصالونات الأدبية) مؤشراً إيجابياً ينم عن عودة المجتمع إلى الاحتفاء بحرفة الأدب والفكر، فإن انتشار المجالس والأمسيات الأدبية الخاصة التي انتشرت في مدننا في العقدين الأخيرين يمثل ظاهرة إيجابية تبشر بخير في ظل تنامي عدد المجالس الأدبية المنزلية في مدننا الرئيسة مثل الرياض وجدة ومكة والمدينة وغيرها.

ولا شك أن هذه المنتديات تؤدي دوراً إيجابياً كبيراً في نشر الأدب والفكر، وترسيخ ثقافة الحوار، وربما يتفوق بعضها على الدور الذي تقوم به المؤسسات الثقافية الرسمية وعلى رأسها الأندية الأدبية، إذ يلحظ ذلك من خلال كثافة الحضور، وتنوع المشارب والخلفيات والأعمار، مقارنة مع حضور الفعاليات الثقافية الرسمية التي يقتصر حضورها

---

* الجمعة ١٤ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ (١٠/٤/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٣٤٣).

عادة على أعداد محدودة من ذوي التخصص، أو من الذين يحضرون لأداء واجب وظيفي، أو مجاملة لزميل، لا برغبة ذاتية دافعها البحث عن الاستفادة العلمية والاستمتاع بالمطارحات الفكرية!

ولعل من عوامل نجاح المنتديات الخاصة في استقطاب الحضور، هو تحررها من القيود الرسمية، والبساطة في الترتيب والإدارة، وبعدها عن ضيق التخصص وجمود المتخصصين؛ مما يرفع الحرج عن غير المتخصصين في الحضور والمشاركة بغض النظر عن مستوياتهم العلمية، ومراتبهم الاجتماعية، أو الدينية.

ومع أن البعض يعلل قيام الكثير من الصالونات (المنتديات) المنزلية بوجود دوافع خاصة لدى أصحاب تلك الصالونات تتمثل في البحث عن الوجاهة أو المكانة الاجتماعية؛ إلاّ أن ذلك لا ينطبق على الكل، فللكثير منهم أهداف نبيلة، ونوايا حسنة، ولا ينبغي إساءة الظن برجال فتحوا بيوتهم، وبذلوا مالهم ووقتهم لاستقبال العلماء والمفكرين والمثقفين، وسعوا إلى استقطاب عشاق الأدب، وتكرموا

باحتضان رواد مجالسهم بكل أريحية وكرم.

غير أن ما سأشير إليه في هذه العجالة هو ما يواجهه أصحاب تلك المنتديات من المواقف والصعوبات المتنوعة.

ويأتي في مقدمة تلك المنغصات المزعجة الاحراجات التي يتسبب فيها بعض الثقلاء من مرتادي الصالونات الأدبية المنزلية، سواء بآرائهم الشاطحة، أو بعدم لباقتهم في الحوار والنقاش، مما يثير بعض الزوابع أحياناً، ويعكر صفو اللقاء، ويضع المضيف في حرج كبير.

وتجد الواحد من هؤلاء المرتادين غير المرغوب فيهم يتنقل من صالون إلى صالون، يصل مبكراً ويحتل مكاناً في صدارة الصالون، وإن كان ليس من أهل الصدارة!

ومن أولئك المتطفلين من لا يكتفي بذلك بل إنه يصر على التحدث، بل يريد أن يُعطَى الأولوية في المداخلات والتعليقات، وإن كان لا يملك أهلية المداخلة والتعليق.

وهنـاك أشـخاص مـن هـؤلاء المـتطفلين يتواجـدون في كـل منتدى، ويحرصون على الكلام - وإن كان سكوتهم من ذهب - وإذا استلموا مكبر الصوت بدأوا بالحديث عن شخصياتهم، وتضخيم مؤهلاتهم وإنجازاتهم، في محاولة مكشوفة للفت الانتباه لذواتهم، دون حياء من إطراء أنفسهم، ودون خجل من تكرار ذلك بمناسبة ودون مناسبة!

ومن خلال ملاحظة متكررة؛ فقد تأكد لدي أن هذه المنغصات هي أخطر ما يواجه أصحاب المنتديات الثقافية المفتوحة من صعوبات ومعوقات مما يجعل بعضهم يتوقف مجبراً، وبعضهم يغير مواعيد ندوته، أو يحاول دعوة أشخاص معينين بدلاً من الإعلان عن الندوة.

وهكذا يعيق الفارغون كل عمل بناء!!



٤٣. ظاهرة تثير التساؤل في مطار المدينة!*

المدينة المنورة هي عاصمة الإسلام الأولى، وهي أكثر مدينة يزورها المسلمون من شتى بقاع الأرض بعد مكة المكرمة، وهي مدينة تتميز بروحانيتها وسماحتها وبركتها بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لها بالبركة في صاعها ومدها.

وقد أولت قيادتنا الرشيدة المدينة اهتماماً خاصاً للمحافظة على هذه الخصائص التي حباها الله لمدينة المصطفى، فعملت كل ما من شأنه راحة زوار طيبة الطيبة..

غير أن هناك بعض الممارسات التي لا تصب في هذا التوجه الحكيم ولا تتناسب مع أريحية المدينة في استقبال زوارها. ومن أهم هذه الممارسات أو الظواهر التي تقابل الزائر عندما يحط في مطار المدينة ظاهرة تأجير عربات نقل العفش بطريقة تختلف عن مطارات

---

* الجمعة ٢١ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٤/١٧م)، العدد (١٣٣٥٠).

المملكة الأخرى.

فالمعمول به في مطاراتنا أن الراكب له الخيار في أخذ عربة مجانية لنقل عفشه إذا أراد أن يقوم بذلك بنفسه، كما يمكنه أن يستأجر عاملاً مع العربة وعليه أن يدفع أجرة العامل.

أما في مطار المدينة فإن المسافر إذا أراد أن يستخدم عربة دون عامل؛ فيلزمه أن يدفع رسماً إجبارياً قدره ريالان.

وقد يعتقد البعض أن هذا مبلغ رمزي لا يؤثر على الراكب؛ لكن الحقيقة غير ذلك إذا علمنا أن مطار المدينة يعبره ثلاثة ملايين راكب سنوياً حسب تقديرات مؤسسة الطيران المدني، وإذا افترضنا أن نصف هؤلاء المسافرين على أقل تقدير يضطرون لاستخدام العربات؛ فإن ثلاثة ملايين ريال تستقطع من زوار المدينة دون وجه حق!!

أما إذا أردنا أن نحسب الأجرة الكاملة للعربة مع العامل والمحدد بـ ٨ ريالات أو ١٠ ريالات، فإن المبلغ المتحصل سنوياً مبلغ

كبير جداً قد يصل إلى ٢٠ مليون ريال أو أكثر، مما يوجب إعادة مراجعته، فلو كان خمسة ريالات مثلاً لكان مجزياً للعامل ومخففاً على المسافرين!

لقد تطرق إلى هذا الموضوع المثير للاستغراب كثير من الكتاب، وكثير من المواطنين في مجالسهم الخاصة، بل إن بعضهم قد رفع شكاوى إلى مطار المدينة لإعادة النظر في هذه المسألة المريبة، إلاّ أن كل استدعاءاتهم كانت تذهب أدراج الرياح، مما يؤكد أنها لا تصل إلى المسؤولين في رئاسة الطيران المدني، بل يتم وأدها في إدارة مطار المدينة..

ولا شك أن هذا مما يثير التساؤل عن مدى تنفيذ الشركة المالكة لتلك العربات، وعن أسباب السماح لها بتلك الممارسة!

إنني بهذا أضم صوتي إلى صوت أخي محمد بن بتاع البلادي الذي تطرق إلى هذا الموضوع في جريدة المدينة بتاريخ الأربعاء

(١٥ - ٤ - ١٤٣٠هـ)، وأورد تفاصيل مثيرة حول هذا الموضوع، منها أن العمالة التي تسيطر على العربات تتمتع بحماية قوية من المسؤولين في المطار، حتى أن راكباً أجنبياً تم تهديده بسحب جواز سفره والتحقيق معه عندما اختلف مع العامل عند دفع هذا الرسم الذي ليس له ما يبرره لعربة دون عامل!

إن هذا الإجراء يثير عدداً من التساؤلات التي هي بحاجة إلى إجابة، كما أنها بحاجة إلى تدخل المسؤولين في رئاسة الطيران المدني، وهذه التساؤلات هي:

- بأي حق يفرض هذا الرسم الإجباري على زوار مدينة رسول الله؟.
- من هو المسؤول الذي فرض هذا الإجراء؟ وما هي مبرراته؟
- لِمَ ينفرد مطار المدينة في هذا الإجراء دون غيره من مطاراتنا؟
- من هو المستفيد الحقيقي من هذا المورد المالي الكبير؟
- ما هو مصير الشكاوى والكتابات السابقة بشأن هذا الموضوع؟

إن ظاهرة بهذه الغرابة، وبهذا الحد من الاستغلال ليس من اللائق أن توجد في مطار المدينة الشريفة الذي يعد أحد أهم المنافذ الروحانية لبلادنا المقدسة..

فهل تستجيب إدارة رئاسة الطيران المدني لهذه النداءات وتحقق في هذه القضية، وفي مصير الشكاوى السابقة؟[1].



(١) لعله من المهم أن أشير إلى أنه تم الاهتمام بهذا المقال من الجهة المسؤولة، وتم التحقيق في هذه المسألة، وإلغاء الرسم المفروض على العربات المستخدمة دون عامل!

٤٤. الفوضى المرورية تتفاقم أيها المرور!*

إن الالتزام بأنظمة المرور وقواعده وأدبياته في هذا العصر ليس سلوكاً حضارياً فقط، وإنما هو ضرورة تنظيمية تفرضها الحاجة إلى تيسير أمور الحياة التي تزداد تعقيداً وازدحاماً يوماً بعد يوم، وتزداد حاجة الإنسان فيها إلى كل دقيقة من وقته الذي أصبح أغلى من الذهب، لأن الذهب يمكن تعويضه، أما خسارة الوقت فلا يمكن تعويضها!

ولهذا فقد أولت الدول المتحضرة الأنظمة المرورية جل اهتمامها ومتابعتها وحرصت على تطبيقها بصرامة، وسعت إلى توعية شعوبها نحو احترام تلك الأنظمة والالتزام بها حفاظاً على سلامة الفرد، واحتراماً لحقوق الآخرين في الطريق، وهي الحقوق التي سبقهم إليها الإسلام بقول المصطفى عليه الصلاة والسلام:

* الجمعة ٦ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ (١/٥/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٣٦٤).

(أعطوا الطريق حقه).

وليس جديداً أن نتحدث عن انتهاك حقوق الطريق لدينا بالسلوك غير الحضاري الذي نشاهده يومياً من السرعة الزائدة، وعكس المسارات، وقطع الإشارات، وعدم احترام خط المشاة، وعدم احترام المواقف المخصصة لذوي الاحتياجات الخاصة، وإزعاج الآخرين بأصوات المنبهات الصاخبة، والمصابيح الغازية...إلخ، لكن الجديد هو ظاهرة الوقوف وسط الشارع دون حياء أو خوف من رجال المرور!

إن ممارسة الوقوف في عرض الشارع وإغلاق مساراته بشكل متعمد قد أصبحت ظاهرة يومية يمكن مشاهدتها بكل سهولة أمام المدارس وبعض الدوائر الحكومية أو المطاعم والأسواق. إنها ظاهرة من أسوأ ظواهر الهمجية المرورية لدينا، لأنها استهتار واضح بحقوق الآخرين فضلاً عن الاستهتار بجهاز المرور ورجاله!

لقد أصبحت ظاهرة الوقوف أمام المدارس وبالذات المدارس الخاصة وقت انصراف الطلاب ممارسة عادية يمارسها بعض الآباء والسائقين الوافدين بلا حياء غير آبهين بما يترتب على ذلك من اعتداء على حرمات الطريق وتعطيل لعباد الله العابرين.

لقد تطورت هذه الظاهرة وأصبحت ممارسة اعتيادية حتى صار سائق العائلة الآسيوي يأتي قبل موعد انصراف المدارس بربع ساعة أو أكثر ويوقف سيارته في عرض الشارع في المسار الأول أو الثاني أو الثالث ويقفلها، ويترجل منها ليذهب إلى البقالة أو إلى البوفيه أو إلى الرصيف من أجل الدردشة مع أصدقائه من أبناء جلدته بانتظار خروج الطلاب من المدرسة، ولسان حاله يقول: على عابر الطريق أن ينتظر عشر دقائق أو ربع ساعة، أو فليذهب إلى طريق آخر فالشوارع كثيرة!

وحتى لا أتهَم بالمبالغة؛ فإني أدعو أحد المسؤولين في مرورنا

العزيز أن يمر قبل وقت انصراف المدارس الكبيرة الواقعة على شوارع رئيسة، وإذا لزم التحديد بمثال معين؛ فإني أدعوهم للمرور بمدارس التربية الواقعة على شارع الأمير ماجد بن عبدالعزيز بحي الريان بالرياض ليرى السيارات مصطفة دون سائقيها محتلة جميع مسارات الشارع ذهاباً وإياباً!!

كما أن هناك ظاهرة أخرى من ظواهر الفوضى المرورية المتنامية، وهي ظاهرة الوقوف على المسار الأيسر للشارع بعد استغراق أماكن الوقوف على الجانب الأيمن بحيث لا يبقى إلاّ مسار واحد في الوسط للمرور، ومن أراد مثالاً حياً على ذلك فليذهب إلى طريق الفرزدق بالملز خصوصاً من جهة نهايته مع شارع الجامعة.

إن الفوضى المرورية التي وصلت إلى أعلى مستوياتها تعكس صورة قبيحة للتخلف الذي توصم به بلادنا إذا ما قورنت بالبلاد المجاورة أو البلاد الناهضة الأخرى، فمن هو المسؤول؟

وكيف تعجز دولة بترولية ناهضة عن كبح جماح هذه الفوضى المتزايدة؟

إن الخوف هو أن تتحول هذه الظواهر المقيتة إلى سلوك مقبول لا يخجل السائق من ممارسته في ظل تهاون المرور وسلبية السائق، ولأن من أمن العقوبة أساء الأدب..

وختاماً؛ يبقى السؤال: هل أعطينا الطريق حقه؟.



٤٥. تلميع الأحياء على حساب الأموات*

من السلوكيات غير المقبولة في هذه الأيام ما يقوم به بعض مراسلي صحفنا المحلية من ممارسة للشللية الصحفية الواضحة حتى لو كان ذلك على حساب المصابين والموتى في حوادث السيارات أو الحرائق أو الغرق أو غير ذلك، وكأنهم يبحثون عن الحوادث والكوارث من أجل الحصول على سبق صحفي لا يخلو من السعي إلى تحقيق بعض المكاسب الشخصية للصحفي أو لمعارفه من المسؤولين!

وتتمثل تلك الممارسة الخاطئة في قيام المراسل بصياغة الخبر الصحفي بطريقة موجهة لخدمة القياديين والمسؤولين في الأجهزة الرسمية ذات العلاقة بالحادث، قبل أن تهدف إلى خدمة ضحايا تلك الحوادث. ومن أجل هذا الغرض فقد أصبحت صياغة الخبر شبه

* الجمعة ٢٠ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ (١٥/٥/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٣٧٨).

جاهزة تبدأ بالإخبار عن الحادث وتنتهي بإبراز دور المسؤول الفلاني أو الضابط العلاني في مباشرة الحادث والقيام بما يلزم، حتى وإن كان ذلك لم يحدث مطلقاً أو حدث بصورة لا تخلو من التأخير والتقصير!!

أعرف حادثة سيارة وقعت مؤخراً لقريب لي توفي - رحمه الله - في سيارته وسط محاولات بائسة من الجمهور ومن المسعفين لإخراجه من السيارة التي تعذر إخراجه منها بسبب تحطم السيارة على سائقها، وبسبب تأخر وصول فرقة الدفاع المدني لأكثر من ٤٠ دقيقة.. وقد يكون لهم عذرهم ونحن نلوم.

وفي اليوم التالي وإذا بأحد المراسلين الصحفيين ينشر خبر الحادث وصورة السيارة المحطمة؛ مفيداً أن الدفاع المدني بقيادة الضابط الفلاني باشر الحادث فوراً، وأن المرور قام بمباشرة الحادث برئاسة المقدم فلان والنقيب علان؛ في حين أن الحادث لم يحضره أي رجل مرور من ذوي الرتب التي تقع فوق رتبة عريف.. أما الدفاع

المدني فلم يحضر إلا بعد أن لفظ السائق أنفاسه بعد أكثر من أربعين دقيقة كان خلالها يتنفس بصعوبة ودماؤه تنزف بغزارة، والمسعفون لا يستطيعون فعل شيء لعجزهم عن إخراجه من حطام السيارة!

إن إيراد الخبر بهذه الصيغة ينم عن غياب الرسالة الصحفية، ويفتقر إلى الأمانة والمهنية التي يتطلبها العمل الصحفي الذي يضطلع برسالة أسمى من تلميع فلان وتمجيد علان من المسؤولين الذين لا أشك بأن هدفهم الأول هو خدمة المواطن، وليس التباهي بإنجازات على الورق!

إن مثل هذا الأسلوب لا ينطوي على عدم الدقة في نقل الخبر وحسب لكنه ممارسة مكشوفة للنفاق الاجتماعي، ومجاملة المسؤولين، وتلميع الأحياء على حساب الأموات دون احترام للحقيقة، ودون مراعاة لشعور ذوي المصاب أو المتوفى!

كم هو مؤلم أن يعاني المصاب أو ذووه من تأخر الجهات ذات

العلاقة في مباشرة الحادث، ثم يفاجأ في اليوم التالي بخبر مثل الخبر السابق يبالغ في تضخيم الإنجازات، ويقلب الحقائق، ويرصع الخبر بأسماء مسؤولين كانوا بعيدين عن ميدان الحادث، وقد يكون لهم العذر في ذلك لأن الحادث وقع خارج وقت الدوام الرسمي أو أن المسافة بعيدة بين موقع الحادث وموقع الجهة ذات العلاقة..



٤٦. الاستعاذة من خفافيش الإنترنت!*

للمسلم أوراد وأدعية يستعيذ بها من شرار الجن والإنس، ومن طوارق الليل والنهار إلاّ طارقاً يطرق بخير.. ومع أن أوراد الصباح والمساء التي علمنا إياها سيد البشر كفيلة بحفظ المسلم من كل سوء، إلاّ أنه صلى الله عليه وسلم قد سمى أخطر أسباب الشر، مثل: النفس الأمارة بالسوء، والشيطان، والهامَّة، والعين اللامة، والمرض، والكسل، والجبن، والبخل، وغلبة الدين، وقهر الرجال، والحاسد، والغاسق والنفاثات في العقد، والوسواس الخناس، وغيرها.

ولأن مسببات الشر لا حصر لها، وأبوابه لا عَدَّ لها، فإن من معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو الذي أعطي جوامع الكلم أنه تنبأ بأبواب الشرور غير المعروفة في زمنه فقال: «اللهم إني أسألك من

---

* الجمعة ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٥/٢٢م)، العدد (١٣٣٨٥).

الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم».

ومن أعظم أبواب الشر الجديدة التي انفتحت مع ظهور شبكة الإنترنت، شر اسمه خفافيش الإنترنت، وهم ثلة من شرار الخلق وجدوا فرصة لتفريغ أحقادهم من خلال الكتابة بأسماء مستعارة، ووجدوا وسيلة لنفث سمومهم، من خلال الإشاعات المغرضة والتعليقات السيئة لتشويه صورة الآخرين، والطعن في أعراض المؤمنين الغافلين والمؤمنات الغافلات!

ويبدأ مسلسل البهتان والغيبة بمجرد أن ينشر أحد الموتورين فرية على أحد الأشخاص المعروفين سواء كان مواطناً ناجحاً أو مسؤولاً بارزاً، وما أن يفرغ ذلك المفتري من عرض فريته حتى ينبري لها طوابير الخفافيش بتعليقاتها وتهكماتهم وافتراءاتهم، وكأنهم كلاب تنتظر وجود الجيفة لتنقض عليها وتنهشها من كل جانب!!

وعلى سبيل المثال فلو نشر أحدهم ظلماً وعدواناً خبراً ملفقاً يفيد أن المسؤول الفلاني قد ارتكب مخالفة إدارية؛ لجاءت التعليقات التالية تؤيد الخبر وتضيف له المزيد من الاتهامات، فبعضهم يدعي أنه قد سرق من قبل، وبعضهم يدعي أنه من أسرة عرفت بالسرقة والرشوة، وبعضهم يطالب بإيقافه والتشهير به، وبعضهم ربما يطعن في عرضه أو نسبه أو تاريخ أسرته. وهكذا تنهال الاتهامات دون تعقل، ودون تثبيت، فلا تجد بين هؤلاء الخفافيش من يسأل نفسه قبل أن يَلَغ في عرض هذا المسلم المفترَى عليه عن مدى صحة الخبر، ولا تجد بينهم من يستذكر قول الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ..﴾ الآية (٦) سورة الحجرات. أو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية (١١) سورة النور.

أو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية (٢٣) سورة النور.

ويندرج تحت هذه الفئة أولئك الذين ينبشون مثالب الطرف الآخر سواء كان أسرة أو قبيلة، فيقوم جهلاء ذلك الطرف بنبش مثالبهم لتتسع دائرة الشتم والتنابز بالألقاب، حتى إن العاقل ليخشى من وجود أطراف خارجية تصب الزيت على النار لبث الفرقة في مجتمعنا المحسود على أمنه ووحدته!

إن هذا الوباء أصبح يمثل ظاهرة اجتماعية خطيرة تحتاج إلى دراسة جادة لمعرفة أسبابها ودوافعها وسبل علاجها، حفاظاً على وحدة المجتمع أولاً، وحقوق المفترَى عليهم ثانياً، وتوجيه هؤلاء الشباب إلى السلوك الإسلامي السوي الذي يحَرِّم أعراض المسلمين كما يحرم دماءهم وأموالهم!

ولا أدري إلى متى تقف الجهات الرسمية ذات العلاقة موقف المتفرج أمام استشراء هذه الظاهرة غير آبهة بأخطارها على سلامة المجتمع ووحدته؟ وإلى أن يأذن الله بالقضاء على هذا الخطر، فليس أمامنا إلاّ الاستعاذة صباحاً ومساء من طوارق الليل والنهار وطوارق الإنترنت إلاّ طارقاً يطرق بخير!!



٤٧. غرائب الأحوال في رسائل الجوال*

إذا كانت الرسائل الخطية والشفهية هي وسيلة الوصل والاتصال، وهي شريان العلاقة بين البشر فيما مضى من الدهور والأجيال، فإن وسائل الاتصال الحديثة التي ظهرت في هذا الزمان، قد أتاحت قنوات أخرى للتواصل ونقل المشاعر والأحاسيس، قبل نقل الأخبار والمعلومات.

وإذا كانت وسائل الاتصال قد تطورت في القرن الماضي بعد ترويض موجات الأثير لنقل الرسائل عبر المذياع والهاتف والبرقية، فإن سنوات العقدين الماضيين قد أدخلتنا في عصر الإنترنت والجوال والبلوتوث، أو أدخلتها في حياتنا، محدثة نقلة نوعية مذهلة في تطور أدوات الاتصال ووسائله، ومضيفة تحولاً جذرياً في شكل التواصل الأسري والاجتماعي والتجاري.

---

* الجمعة ١٢ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٦/٥م)، العدد (١٣٣٩٩).

وكما هو الحال في مجتمعنا وكيفية التعامل مع أية وسيلة جديدة، فقد ظهرت لدينا ممارسة تبادل الرسائل الشخصية عبر جهاز الجوال، وتباينت استخدامات هذه الرسائل من فئة إلى فئة، ومن شخص إلى آخر، فأسرف الكثير من الناس خصوصاً من فئة الشباب في إرسال الرسائل إلى بعضهم وقتل أوقات فراغهم بتبادل النكات والتعليقات والألغاز.. واتجه قسم كبير منهم لتبادل الرسائل الغرامية المعقولة وغير المعقولة، في حين استغلت المؤسسات التجارية هذه الوسيلة في بث دعايتها وإيصال صوتها إلى الزبون وغير الزبون حتى لو كان نائماً في فراشه!!

والذي يهمني هنا هو الرسائل الشخصية غير التجارية، فإنه تبعاً لهذه الظاهرة الجديدة للاتصال بين بني البشر، فقد ظهرت كتيبات تسجل صوراً مما قيل ويقال في رسائل الجوال أصبحت تباع في الأسواق والمكتبات، وتقدم رسائل جاهزة وعبارات معلبة تستخدم لكل المناسبات، وتوفر على الشباب عناء البحث عن كلمات لرسائلهم!

غير أنه هالني وأنا أتصفح بعض تلك الإصدارات مدى الإسفاف اللغوي، وانحطاط العبارات المستخدمة في كثير من تلك الكتيبات.. ولأن الخير لا يزال موجوداً، فإن هناك صوراً أخرى للمراسلات الأخوية مختلفة في المعنى، وفي اللغة، وفي الذوق، وفي الغاية.

فكانت هناك كتيبات أخرى تسجل الرسائل الجوالية المتبادلة بين الأصدقاء والزملاء والإخوان الذين تجمع بينهم اهتمامات أدبية أو زمالات وظيفية، أو علاقات اجتماعية طيبة، فكان الجوال عند هذه الفئة الواعية نافذة نافعة، وكانت كتيبات ومراسلات هذه الفئة سجلاً نظيفاً ومشرفاً لما دار بينهم من مراسلات راقية، ومساجلات سامية، وتبريكات وتهنئات صادقة، ودعوات أخوية إيمانية، تستحق أن تكتب بماء الذهب.

فعند هؤلاء كان الجوال وسيلة لتبادل الدعاء الصالح، وتبادل العبارات والفوائد الأدبية، والنصائح الأخوية، مما يعكس نماذج رائعة

لعلاقات اجتماعية، وأخوة إسلامية طيبة صادقة، لا ينتج عنها إلا دعوات في الخير متبادلة، وكما هو معلوم في شريعتنا أن دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجاب إن شاء الله.

إن الأمل كبير في وزارة الثقافة والإعلام أن تشدد الرقابة على كتب الرسائل الجوالية التي أصبحت تجارة رائجة لدى بعض دور النشر التجارية، من أجل الارتقاء بمستوى هذه الكتب، والحد من نشر كتب الرسائل الجوالية ذات المستوى غير اللائق أخلاقياً ولغوياً، حفاظاً على الذوق العام، وحرصاً على اللغة العربية التي تنكر لها كثير من أهلها!!



٤٨. مأساة العيص.. الدروس والعبر!*

شهدت بلادنا، خلال الآونة الأخيرة عدداً من الظواهر الطبيعية الموجعة والتي كان من أهمها توالي سنوات الجدب والقحط وانقطاع الأمطار لعدة سنوات، ثم شهدت هذه السنة – أعني سنة ١٤٣٠هـ – موجات الغبار والعواصف الترابية التي تعاقبت على بلادنا حتى ضاقت الأرض على الناس بما رحبت إلا من رحمة الله.. ثم ارتجفت الأرض في محافظة العيص ونواحيها بمنطقة المدينة المنورة، وتوالت اهتزازاتها، ومع كل رجفة من رجفاتها كانت ترتجف قلوب، وتخرج أسرٌ بأكملها من بيوتها وقراها بحثاً عن الأمان في المخيمات المؤقتة والمدن المجاورة..

لم يكن ذلك الخروج نزهة؛ لكنه كان رحلة مصحوبة بهموم لا حصر لها، من أهمها على سبيل المثال الخوف من مفاجأة الانفجار البركاني، والقلق من المصير المجهول، والحسرة على ترك المنازل

---

* الجمعة ٣ رجب ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٦/٢٦م)، – العدد (١٣٤٢٠).

والممتلكات، فضلاً عن اضطراب المصالح في الدوائر وانقطاع الدراسة، إلى غير ذلك من المآسي والآلام التي عاني منها أهالي المنطقة المنكوبة.

لكن الذي لاشك فيه أن المواطنين والمقيمين بعيدًا عن محيط اهتزازات العيص وزلازلها لم يتصوروا هول المأساة، ولم يشعروا بمعاناة أهالي العيص وما حل بهم من الرعب والتشتت وتعطل المصالح خلال أسابيع الكارثة التي لا تزال آثارها قائمة.. والذين زاروا العيص أو تابعوا أحوال سكان المنطقة عبر وسائل الأعلام؛ خصوصًا من ألقى السمع وهو بصير يدركون هول الفاجعة، التي أصابت الناس والبهائم والطيور والنباتات..

إن كثيرًا من الأسر التي أرغمت على ترك مساكنها التي تعودت عليها، واضطرت إلى الانتقال إلى مخيمات طارئة تفتقر إلى وسائل الراحة المتوفرة في البيوت في ظروف مناخية شديدة الحرارة، أو تلك التي اضطرت إلى الاستئجار في المدن المجاورة، تتعرض لضغوط نفسية كبيرة نتيجة للمصير المجهول، وتعاني من صعوبات كبيرة

نتيجة للخسائر المادية والتكاليف الباهظة التي يتحملها أرباب تلك الأسر مع صعوبة أوضاعهم المادية أصلاً..

نقل لي زميل من هيئة المساحة الجيولوجية أن الكارثة قد لحقت آثارها حتى بالبهائم والكائنات الحية بما فيها الكلاب والقطط والطيور التي تركت في تلك القرى الخاوية، فقد مسها الضر أيضًا لانعدام الأطعمة والمياه التي كانت تفيض عن حاجة السكان عندما كانت الأحياء تعج بالحياة والنشاط الإنساني..

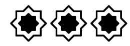
لذا؛ فإن كل شيء في منطقة الكارثة بحاجة إلى المساعدة، فهل يهب أصحاب القلوب الرحيمة لاغتنام هذه الفرص السانحة وأبواب الخير المفتوحة؛ فيمدون يد العون لإخوانهم أهل العيص، ويبادرون إلى إطعام الجياع وسقيا العطشى من البشر ومن ذوات الأكباد الرطبة امتثالاً لقول المصطفى ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر". أو كما قال عليه الصلاة والسلام. وقوله أيضاً: "في

كل كبد رطبة أجر".

إن ما قدره الله من اهتزازات في أرض العيص يمكن أن يحصل في أي مكان آخر على هذه الأرض التي ذللها الله لنا، لننعم عليها بالأمن والاستقرار، ونفترشها عند المنام آمنين مطمئنين، أو نلهو على أديمها قائمين وقاعدين..

هذه الأرض يمكن أن تهتز تحت أقدامنا، فتحطم كل ما على وجهها بغمضة عين بإرادة من خلقها وأرساها وهو القائل جل وعلا: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ. أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾.. الآيتان (١٦،١٧) سورة الملك.

إن ما يحصل في العيص ليس ظاهرة عابرة، لكنه عبرة وآية لكل عبد منيب!



٤٩. صيف القصيم.. وانقطاع الكهرباء!*

إن الكهربا ء التي أصبحت من أساسيات حياتنا وحياة الأمم في هذا العصر تجعل من الصعب أن نتصور أو نشرح ما واجهه أهلنا في القصيم من معاناة جسدية ونفسية ومالية لا يدركها إلا من ذاق مرارتها، واكتوى بنارها.

قبل أيام وصلتني رسالة جوالية من أحد أبناء القصيم هذا نصها: "وضع الكهرباء في القصيم سيئ، والانقطاع في يومه العاشر، جو القصيم شديد الحرارة، غبار، اختبارات طلاب، مرضى في المنازل، مواطير في عنيزة لتشغيل الإشارات، حالات غضب عمليات الكهرباء ٩٣٣: مشغول".

لست متحاملاً على شركة الكهرباء، ولا بيني وبين أحد من مسؤوليها سابق معرفة، أو تصفية حسابات لكن ما حصل في القصيم من انقطاعات غير مسبوقة ينبغي أن يناقش بصراحة تامة ودون

---

* الجمعة ١٠ رجب ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/٧/٣م)، العدد (١٣٤٢٧).

مجاملة أو مداهنة؛ لأن غض الطرف عن مشكلة بهذا الحجم ليس من المصلحة العامة في شيء!!

لقد كان من المؤسف أن تكون أولى مفاجآت هذا الصيف غير السارة لأهل القصيم انقطاع التيار الكهربائي في توقيت قاتل، إذ تزامن مع حلول الامتحانات النهائية، ودخول وقت الصيف الذي باغت أهل القصيم بدرجات حرارة قياسية بعد أن نعموا بفصل ربيعي ماتع..

وبقدر ما كانت تلك الانقطاعات المفاجئة مأساة حقيقة للأهالي، فقد كانت مؤشرًا محرجًا لشركة الكهرباء وإداراتها، كشف عن خلل واضح، وأزاح الستار عن المستور من تخبطات الإدارة وإخفاقاتها في التخطيط والإدارة والتشغيل..

إن ما حصل من معاناة قد تصل إلى حد الكارثة كان بالإمكان تجنبه لو كان هناك إدارة تتحلى بالمسؤولية والكفاءة؛ لأن ما حصل ليس كارثة طبيعية لا حول للإنسان فيها ولا قوة، بل هو إخفاق بشري في عمل إداري!!

لـو حـدثـت كـارثـة القـصيم في بلـد آخـر لكان أول الحلـول مبـادرة المسؤولين إلى الاعـتراف بالمسؤولية، ومحاسبة أنفسهم، واسـتقالة الإدارة العليا أو إقالتها، بدلاً من تسابق المسؤولين في شركة الكهرباء في تقـديم المبررات، وتحميـل المواطنين المسؤولية ومطـالبتهم بالترشـيد، بـدلاً مـن الاعتراف بالخطأ وتحمل كامل المسؤولية!!

لسنا بحاجة إلى أن يشرح لنـا المسؤولون في شـركة الكهربـاء عـن إنجـازاتهم وعـن حجـم الطاقـة المنتجـة، لكننـا بحاجـة إلى أن يعـالجوا مـشاكلنا، ولـسنا بحاجـة أن يخبرونـا بـأن مـا ينـتج لـدينا مـن الطاقـة يساوي مـا ينـتج في البلاد العربيـة مجتمعـة إذا كانت هـذه الطاقـة الـتي تكلف ميزانية الدولة والمواطن تكاليف باهظة، دون برامج ترشيدية فاعلة، ودون استثمار أمثل لمصادر الطاقة، ودون أن نكون في مأمن من الانقطاعات المفاجئة!

لا أحد ينكر ما تبذله الدولة - رعاها الله - من ميزانيات باهظـة مـن أجـل خدمـة المـواطن، وخـصوصًا فيمـا يتعلـق بتـوفير

الطاقة الكهربائية التي غطت شبكاتها أرض بلادنا الواسعة لتصل إلى كل بيت ومزرعة، وكل مؤسسة ومدرسة لكن الذي لا يمكن تحمله هو أن تعجز شركة الكهرباء عن تأمين الطاقة بالمستوى الذي تطمح إليه قيادتنا الرشيدة، وبالقدر الذي يتمناه المواطن كمًا وكيفًا وتكلفة!

وأخيرًا، فإنه لابد من الاستفادة وأخذ الدروس من كارثة انقطاع الكهرباء، وأهم تلك الدروس: أن يستشعر المسؤول والمواطن أهمية الطاقة، وحجم تكلفتها، وضرورة ترشيدها، وأن ندرك أن ثقافة الترشيد ينبغي أن تكون خيارًا ثقافيًا وممارسة عملية، وليس إجراء نلجأ إليه عندما نقع في المشكلة ونضطر للترشيد اضطرارًا..



٥٠. سلامة الأمير محمد.. فرحة تدعم عيدنا*

أراد الله أن تكون أزمتنا مع فتنة الخارجين على ولاة أمرنا اختبارًا صعبًا، ومرحلة عصيبة، وعاصفة هوجاء، ثبتت لها مملكتنا ثبات الجبال الراسية، وصمدت في وجهها صمود الأشجار الثابت أصلها في الأرض وفرعها في السماء..

حاول أهل المكر بشتى الطرق والوسائل التخريبية النيل من هذا الكيان الشامخ، ومارسوا التفجير والدمار وقتل الأبرياء في الرياض والشرقية وفي غيرها، ولما أحبط الله كيدهم، وفشلت خططهم وأعيتهم الحيلة، بفضل الله ثم بفضل حكمة ولاة الأمر وحنكتهم وحزمهم، ويقظة رجال الأمن البواسل؛ أراد البغاة الانتقام، واستهدفوا رمزًا من رموز القيادات

* الثلاثاء ٣ شوال ١٤٣٠هـ (٢٢/٩/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٥٠٨). إشارة إلى محاولة الاعتداء الآثم على صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف مساعد وزير الداخلية للشئون الأمنية في شهر رمضان من سنة ١٤٣٠هـ.

الأمنيــة المظفـرة، ومكـروا ومكـر الله، والله خـير المـاكرين، لأن مكـره عـادل، وتـدبيره محكـم، وغايتـه رد الظلـم ودحـر الظـالم وفـضح الخـائن.. فالحمـد لله علـى نـصره للـصادقين وخذلانـه للكاذبين..

لـيس الاعتـداء علـى الأمـير محمـد بـن نـايف مـساعد وزيـر الداخليـة للـشئون الأمنيـة بـدعًا مـن الأمـر، فقـد اعتـدِيَ علـى الخلفاء الراشدين وهم أشرف الخلق بعد الرسل، وأعدلُ من حكم بعـد الأنبيـاء، فقتِـل عمـر الفـاروق وهـو يـصلي، وقتـل عثمـان وهـو صائم، وقتل علي وهو خارج للصلاة..

ومن توفيق الله لنـا، وسوء توفيقه لأصحاب الغدر والشر، أن جاء اعتداؤهم في هذا الشهر الفضيل في الوقت الذي كانت تـردد فيـه أصـداء المصلين في التراويـح وهـم يقولـون: اللـهم مـن أراد بنـا سوءا فرد كيده في نحره، واجعل تدميره في تدبيره!

ومـن توفيـق الله لنـا، أن هـذا الاعتـداء الأثـيم أظهـر لنـا

وللعالم شرقا وغربا شيم الكرم وخصال الحمد في قادتنا، ورفقهم بالرعية وحرصهم على جمع الكلمة، يعملون لذلك دون إعلان أو تباهي، يخفون ذلك ولا يعلنونه، فأراد الله أن يظهره لمن أعمى الحقد بصيرته!!

دبروا عدوانا أساسه الغدر والخيانة، وقوامه مقابلة الصدق بالكذب، ومجازاة الخير بالشر، من أجل النيل من قادة هذه البلاد لإرضاء كوامن الحقد في صدورهم، والظفر بتصفيق الغوغاء من أتباعهم، فكان الله لهم بالمرصاد، وأهلك الغادر ونَجَّى المغدورَ به، ودارت على الباغي الدوائر، وأخزاه الله هو ومن وراءه، وأذلهم على رؤوس الأشهاد..

وهكذا كانت هذه الحادثة يوما أسودا يضاف لأيام الخوارج السوداء! بينما كانت مناسبة سارة لكل الشرفاء، لأنها كانت انتصارا للصدق والحق، وهزيمة مدوية لأصحاب الغدر والباطل،

وأضحت خبرا سعيدا لكل مواطن محب لبلده وصادق مع قيادته، وكانت يوما فرح فيه المؤمنون بنصر الله..

أراد الله أن يأتي هذا النصر ونحن على أبواب اليوم الوطني، الذي يتميز هذا العام بتزامنه مع عيد الفطر السعيد، فكانت أعيادنا ثلاثة، فلله الحمد والمنة، وللوطن المجد والسؤدد، وللبغاة الحسرة والهوان..



٥١. عندما يكون المواطن ضحية البيروقراطية*

تسعى قيادتنا الرشيدة وفقها الله إلى خدمة المواطن وتيسير أموره بكل حرص وصدق، يتضح ذلك من خلال توجيهات المليك المستمرة للمسئولين بالتفاني في خدمة المواطنين، ويتضح ذلك من خلال مبادرة المسئولين في هرم القيادة إلى تفهم شكاوى المواطنين، وتلمس احتياجاتهم عندما يضطر صاحب الحاجة إلى رفع الأمر لهم، ويتمكن من إيصال قضيته إليهم..

غير أن المعاناة تظل قائمة في المستوى الوسيط من الهرم الإداري وما دونه، عندما يكون المسئول أو الموظف مقيداً بجمود الروتين، ومكبلاً بالأنظمة البيروقراطية، فلا يستطيع تجاوزها حتى وإن كان يدرك تمام الإدراك أن الإجراء غير منطقي..

والأمثلة لذلك كثيرة؛ ولكني أمام مثال حي أسوقه للتدليل

* الجمعة ٢٠ شوال ١٤٣٠هـ (٩/١٠/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٥٢٥).

على وجود هذه المشكلة، ولأنقل صورة حية تكشف معاناة مواطن راح ضحية هذه البيروقراطية المقيتة!!

فأمامي حالة مواطن نزعت إحدى البلديات ملكية عقاره لأسباب تنظيمية، وقدرت قيمة عقاره بمبلغ يقارب مليون ريال، وتوفي المواطن أثناء إجراءات نزع الملك، وتمت إجراءات النزع، وألزمت أسرته بإخلاء العقار على أن تستكمل إجراءات الدفع حسب المتبع، فخرجت العائلة الكبيرة، واستأجرت سكنا مؤقتاً بانتظار حصولها على التثمين لتتمكن من شراء منزل بديل لمنزلها الذي نزعت ملكيته، وبادرت البلدية بهدم المنزل في وقت قياسي، لكنها لم تبادر بإنهاء إجراءات تعويض المواطن!!

ولكون المتوفى يسقط عنه القرض العقاري بموجب مكرمة خادم الحرمين الشريفين، فقد تقدمت أسرته بطلب الإعفاء حسب المتبع، وتم الإعفاء، وأدرج اسم المقترض المتوفى على قائمة المعفين من التسديد المحالة من وزارة المالية إلى الصندوق العقاري..

راجع الأيتام البلدية من أجل استلام ثمن منزلهم، فأخبروا بأن المبلغ محجوز لحين تسديد كامل القرض وفك رهنه العقاري.. راجعوا صندوق التنمية العقاري فأخبروهم أن اسم صاحب العقار قد نزل ضمن المعفين وأنه ليس عليه أي مطالبات، وأعطي أصحاب المنزل خطابا للبلدية بذلك، لكن البلدية أخبرتهم أنها لا تريد خطاباً وإنما تريد تهميش الصك بما يفيد فك الرهن..

راجعوا الصندوق، فأخبروهم أنه لا يمكن فك الرهن إلا بعد تسديد كامل القرض للصندوق من قبل المالية، وهذا يتطلب إجراءات طويلة، وعليهم انتظار دورهم حسب القوائم الواردة من وزارة المالية، وهذا عادة يتطلب مدة غير محدودة!!

طالبت الأسرة بحل منطقي؛ وهو حجز مبلغ يوازي قيمة القرض، ودفع بقية المبلغ المستحق لهم، لكن البلدية رفضت بحجة أن النظام لا يجيز التعويض لعقار ما زال صكه غير محرر!!

والآن مضى على نزع ملكية العقار وعلى وفاة الأب ما يقارب ثلاث سنوات، والأسرة تدفع الإيجار وتزداد ضائقتها المالية يوما بعد يوم، ومعاناتها قد وصلت الحد من المراجعات والتردد، بين الصندوق الذي يقول إن المواطن بريء الذمة، وبين البلدية التي ترى عدم تسليم أي مبلغ مالي لمنزل ما زال بحكم المرهون لجهة أخرى!!

أمام هذا النموذج الواقعي الذي أطرافه معروفة لدى المسؤولين في الصندوق العقاري؛ أهيب بكل من يملك القرار أن ينهي معاناة هذه الأسرة وأمثالها؛ إذ لا يجوز شرعاً ولا منطقاً منع صاحب حق من حقه، أو تأخيره لمجرد أن يكون المتسبب هو البيروقراطية!!



٥٢. انتخابات جدة.. وقفات وانطباعات*

لعله من المناسب بعد أن هدأ ضجيج انتخابات غرفة جدة التجارية الصناعية في دورتها العشرين، أن يكون هناك بعض الخواطر والانطباعات التي تحتاج إلى الوقوف عندها وقفات موجزة، ومناقشتها بشفافية وواقعية، عسى أن يكون في ذلك ما يساعد على تفهم بعض الانتقادات الصائبة ودحض الأخرى غير الواقعية؛ فالمفترض أن الجميع متفقون على أن الانتخابات الحرة النزيهة ليست إلا مظهراً من مظاهر المشاركة في صناعة القرار، والإسهام في التخطيط للمستقبل؛ فالانتخابات ليست إلا خطوة أولى في الاتجاه الصحيح نحو بناء مؤسسات مدنية فاعلة تقوم على الإدارة الجماعية المستنيرة؛ للحد من استبداد الإدارة الفردية وانغلاقها؛ لأن مبدأ الانتخاب والاختيار يفترض أن يقوم على

---

* الجمعة ١١ ذو القعدة ١٤٣٠هـ (٣٠/١٠/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٥٤٦).

قاعدة شرعية أوجزها الحق - سبحانه وتعالى - بقوله: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾؛ فالقوة لا تتوقف على قوة البدن وحدها، وإنما تتعداها إلى القدرة على أداء العمل على أكمل وجه، بما في ذلك الكفاءة العقلية والمهنية والعلمية، أما معنى الأمانة فلا يحتاج إلى كثير شرح.

ومع أن الخبرة الانتخابية لدينا لا تزال قصيرة، وثقافتنا الانتخابية لم تصل إلى المستوى المأمول؛ إلا أن تجربة الانتخابات في الغرف التجارية والصناعية تعد من أنجح التجارب الوطنية في هذا المجال.

ومثل أي انتخابات أخرى لم تسلم انتخابات غرفة جدة من اللغط والتشكيك، من قبل الخاسرين الذين لم يحالفهم الحظ في الحصول على أصوات تنافسية كافية؛ ولذا فإنه لا غرابة في أن تتعالى أصواتهم وتصريحاتهم الإعلامية الغاضبة، متهمين الجهات المنظمة أو المتنافسين الفائزين باتهامات

متعددة مثل سوء التنظيم، والتكتل القبلي أو الإقليمي، أو غير ذلك.. لكن الكثيرين ممن عايشوا انتخابات جدة لهذا العام يقللون من شأن هذه الاتهامات ويعدونها ردة فعل طبيعية من متنافسين خاسرين، ويبررون ذلك بأن الذين فازوا أو الذين احتفظوا بمقاعدهم كانوا يمثلون كافة الأطياف بادية وحاضرة، ذكوراً وإناثاً، كما أن الذين خرجوا من المنافسة يمثلون الأطياف نفسها أيضاً!

ولعله من المهم أيضاً الإشارة إلى حقيقة جديدة، وهي أن المجتمع أصبح أكثر رشداً في اختيار مرشحيه؛ فكان العامل الاجتماعي أكثر تأثيراً على توجه أصوات الناخبين؛ فقد أصبح المرشح الذي له دور ملموس في الأوساط الاجتماعية والأعمال الخيرية، أكثر قبولاً من أولئك الذين لا يعرفون قيمة صاحب الصوت إلا عند الحاجة إلى صوته..

ولهـذا فقـد كـان مـن الطبيعـي أن تنحـاز الأصـوات إلى المتنـافس الـذي عـرف بمبادراتـه البنـاءة ـ في كـل عمـل اجتمـاعي، وإسهاماته الملموسة ـ في كل مشروع أهلي، والذي لا يتأخر عن مد يد العون لمساعدة المحتـاجين، والإسـهام ـ في المشاريع الخيريـة مثـل برامـج مساعدة الشباب على الـزواج، وبـرامـج توظيـف الـسعوديين، وابتعـاث المتميـزين مـن الطـلاب والطالبـات، وتكـريم الطـلاب المتفوقين، وغير ذلك.

وختاما؛ فما من شك أننا نجني ثمار سياسة موحد هذه البلاد الذي سعى إلى دمـج كافـة طبقـات المجتمـع وأطيافـه مـن خـلال إتاحـة الفـرص التعليميـة والوظيفيـة والتجاريـة لجميـع أبنـاء الـوطن باديـة وحاضـرة دون تمييـز.. فـالمواطن الـذي كـان يعيش طيلة قرون ـ في البادية أصبح بفضل هذه السياسة شريكاً ـ في نهـضة الـوطن، ولم تعـد الوظيفـة المدنيـة أو المهنـة التجاريـة أو الـصناعية حكـراً علـى الأسـر الحـضرية العريقـة ـ في عـالم المـال

والأعمال. كما أن سكان الصحراء في الماضي أصبحوا من سكان المدن الفاعلين، وصاروا يحملون أعلى الشهادات العلمية والمهنية.. فهل يدرك المتذمرون هذه الحقيقة؟

إذا وعينا هذه الحقيقة أدركنا أن انتخابات الغرف التجارية تمثل المجتمع تمثيلاً طبيعيًا!



٥٣. الخطوط السعودية: كله واحد!*

لا أدري لماذا تزداد سلبيات الخطوط السعودية يوماً بعد يوم في الوقت الذي تتزايد فيه الأصوات المطالبة برفع كفاءتها وتحسين خدماتها، ولا أدري لماذا تستمر في مراوحة مكانها وكأنها لا تكترث بتلك الأصوات ولا تأبه بها؟

كان المؤمل أن تختفي تلك السلبيات بعد تجربة الخصخصة التي مر عليها بضع سنوات، وهي التجربة التي خاضتها الخطوط السعودية بقرار شجاع من الدولة سعياً لإحداث نقلة تطويرية تواكب المرحلة التي تمر بها البلاد.. ومع ذلك فإن الشكوى لا تزال مستمرة من قلة الرحلات الداخلية والخارجية، ولا زال المعروض من الرحلات لا يتناسب مع الطلب المتزايد المحكوم بتزايد أعداد الركاب وترامي أطراف البلاد، وبما تعيشه المملكة من طفرة اقتصادية وسياحية بفضل

* الجمعة ١٨ ذو القعدة ١٤٣٠هـ (٦/١١/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٥٥٣).

الله.. والتأخير في مواعيد رحلات السعودية لا يزال يمثل هاجساً مقلقاً لركابها، والشكوى من مستوى الخدمات على الأرض وطول الانتظار في مكاتب الحجز لا زالت قائمة، وفوضى الركاب وتزاحم المسافرين في الحافلات التي يضطر فيها الركاب للوقوف لعدم تجهيزها بمقاعد مريحة لا زالت ظاهرة غير مريحة، فضلاً عن عدم التفريق بين ركاب الدرجتين الأولى والسياحية في الحافلات، خصوصاً في مطار جدة الذي يعد الواجهة الأولى للبلاد.

ومع أنه من الإنصاف أن نذكر ما قامت به السعودية من تحسين لبعض خدماتها الأرضية، وأن ما يمر به مطار جدة في الآونة الأخيرة من تطويرات إنشائية ربما يوجد العذر للمسؤولين عن بعض تلك السلبيات، إلا أن ذلك لا يبرر المستوى الحالي لخدمات السعودية ذات التاريخ العريق والإمكانات الضخمة!

وعوداً إلى عنوان هذا المقال؛ فإن من آخر مظاهر الإزعاج على ظهر طائرات السعودية عبارة: (كله واحد).. وهي عبارة غير محببة

لكل من يريد أن يضع الأشياء في مواضعها، بل إنها عبارة تصلح في مواضع ولا تصلح في مواضع أخرى.. حدث هذا على متن طائرة الخطوط السعودية ذات الرحلة رقم ١٠٢٨ المتجهة من جدة إلى الرياض صباح يوم الخميس ٣-١١-١٤٣٠هـ؛ إذ إنني قد بَكّرْت يومها لقطع بطاقة صعود الطائرة وحجز مقعد في مقدمة الطائرة وعند الشباك؛ لأن هذا ما يناسبني لأسباب لا داعي لذكرها هنا.. إلا أنني عندما عرضت بطاقتي التي تحمل رقم المقعد الذي اخترته بعناية، وإذا المضيفة تقول: كله واحد، اجلس في أي مكان!.. وإذا بكرسيي قد احتله راكب لا يأبه بالنظام والتنظيم!!

قد يعتقد البعض أن الالتزام بتطبيق نظام ترقيم المقاعد ليس مهماً إلى هذه الدرجة، أو أن هناك شركات طيران تجعل بعض طائراتها ذات مقاعد حرة، ولكنني أخالفهم الرأي؛ لأن جميع مقاعد الطائرات مرقمة، ليس لأسباب تلبية رغبات الركاب، ولكن لأسباب تتعلق بالسلامة، والتعرف على الركاب في حالة حدوث طارئ أو

مكروه، لا قدر الله، ولأسباب تنظيمية وأمنية وجنائية أحياناً.. فوق هذا كله فإن التهاون في تطبيق أي إجراءات تنظيمية يعد بداية الانحدار نحو الفوضوية، ويمثل استخفافاً بحقوق الركاب التي تضمنها لهم شروط التعاقد المسجلة في دفتر الإركاب الأساسي لدى كل شركات الطيران العالمية، والمنصوص عليها في أنظمة منظمة الخطوط الدولية (الأياتا).

وبالمناسبة، فإن تلك الرحلة المقرر أن تغادر في العاشرة صباحاً لم تُقلِع إلا في العاشرة والنصف، دون أن أسمع اعتذاراً من طاقم الرحلة، وكأن ذلك قد أصبح شيئاً عادياً، أو كله واحد!!



٥٤. عـيون السر.. الماء عندما يصبح نقمة!!*

مرّ على الجزيرة العربية حين من الدهر وهي تنعم بوفرة مياهها من خلال الأودية، التي تسيل بمواسم منتظمة، والعيون المتدفقة التي يجري ماؤها على سطح الأرض ليلاً ونهاراً.. ومع بدائية الوسائل والإمكانيات إلا أن أجدادنا كانوا أفضل منا تفكيراً وتخطيطاً، إذ تمكنوا من استغلال تلك المياه المتدفقة وتصريفها تصريفاً ذكياً واستثمارياً، فأشادوا السدود والوضائم – جمع وضيمة – وحفروا القنوات من أجل تصريف الماء وتوزيعه على الأهالي بطريقة عادلة، فضلاً عن المحافظة على التربة وسلامة البيئة، ودرءاً للأخطار والأضرار التي تنتج عن نشوء المستنقعات وتراكم المياه الراكدة..

ثم مرت سنوات انخفضت فيها المخزونات المائية الجوفية

* الأربعاء ١٥ ذو الحجة ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩/١٢/٢م)، العدد (١٣٥٧٩).

في بلادنا بسبب التصحر والانخفاض السنوي لمعدل مياه الأمطار، ثم بسبب الاستنزاف الجائر للمياه الجوفية بعد دخولنا عصر الطفرة والاندفاع في المشاريع الزراعية، مما أدى إلى غور الآبار، وتوقف جريان تلك العيون المائية، فلم يبق منها إلا قنواتها لتكون شاهداً على حضارة بشرية تنم عن عبقرية وتقدم، وفيها عبرة لمن يعتبر، ومجال واسع للدراسات الآثارية الغائبة!.

ومن المفارقات الغريبة في السنتين الأخيرتين أن يرتفع منسوب المياه الجوفية في منطقة السر الواقعة على بعد ٣٠٠ كيل تقريباً إلى الغرب من الرياض، وأن يستمر ذلك الارتفاع إلى أن يصل مستوى جعل بعض العيون تعاود تدفقها لتدفع الماء بغزارة فوق سطح الأرض، ولينساب في كل اتجاه، وليغمر المزارع القائمة تدريجياً، ولتتحول المنطقة في زمن قصير إلى مستنقعات عشوائية ضارة، إذ أغرقت المياه المالحة التربة، وغمرت

أشجار النخيل والمزروعات فدمرتها، ثم زحفت على المساكن فحاصرتها، مما أجبر أصحاب المزارع إلى الخروج من مزارعهم وقراهم وترك منازلهم التي حاصرتها أسراب البعوض. أما نبات القصباء الذي انتشر بسرعة فقد حول المنطقة إلى أدغال تشكل عائقاً لوصول السكان إلى منازلهم وأملاكهم، و تجعلها مرتعاً للعمالة غير النظامية، وربما للصوص ومروجي المخدرات والممنوعات!

ورغم نداءات الأهالي ومطالباتهم للجهات المختصة، إلا أن تلك النداءات لم تجد استجابة، علماً أن بعض مسؤولي الوزارة قد زار المنطقة واطلع على الوضع، ومع ذلك فإن الوزارة لم تتحرك، ولم تحرك ساكناً حتى هذه اللحظة!

لقد كان من السهل التعامل مع هذه المياه، وتحويلها إلى نعمة بدلاً من تحولها إلى نقمة، وذلك من خلال دراسة المشكلة دراسة جادة وواعية، وربما كان من أيسر الحلول إيجاد قنوات

خرسانية لتصريف المياه وتوجيهها توجيهاً مدروساً ليستفيد منها المزارعون، وينتفع بها الأهالي الذين يعانون من قلة المياه؛ خصوصاً أن تلك المياه تحتوي على نسبة من الملوحة تجعلها غير صالحة للشرب، لكنها صالحة للبناء والزراعة والنوافير الجمالية، وللشرب بعد تحليتها.. فضلاً عما في تصريفها السليم من إنهاء لمعاناة المواطنين في المنطقة..

كما أنه يمكن أيضاً تحويل الفائض من هذه المياه المتدفقة بغزارة واستمرار إلى بحيرة صناعية نظيفة، وتشكيل منطقة سياحية مائية على غرار بحيرة دومة الجندل أو غيرها؛ خصوصاً وأن المنطقة مهيأة لذلك لوجود أماكن يمكن استخدامها كبحيرات طبيعية واصطناعية، مثل فيضة مطربة في عين الصوينع أو غيرها.

وأود هنا أن أذكر بعض الإخوة الذين كتبوا في هذا الجريدة يطالبون الوزارة بضخ مياه البحر عبر وادي الرمة الذي

يرتفع عن سطح البحر في بعض المواقع بأكثر من ٥٠٠م؛ أن الوزارة لم تستطع التعامل مع مشكلة عيون السر ولم تستفد من هذه المياه المتدفقة، ولم تفكر في ضخ المياه المحلاة في الأودية القريبة من البحر؛ لن تحقق أحلامهم الخيالية!!



٥٥. تدمير الأودية.. وغياب الرقابة!!*

هاتفني مواطن غيور من منطقة ضرية، يتقطع ألماً وحسرة لما لاحظه من ظاهرة التدمير واغتيال الطبيعة، وعبر عما يواجهه الناس هناك من مشكلة التعدي على عذرية الأودية، ونقل كميات هائلة ومخيفة من الرمال والحصباء والبطحاء التي أودعها الله بطون الشعاب والأودية، وجعلها جَمَالاً ومستودعاً طبيعياً لحجز مياه الأمطار وخزنها وفلترتها، والاحتفاظ بها لفترة أطول حتى ينتفع بها النبات، وتحيا عليها ذوات الأرواح من المخلوقات البشرية وغير البشرية.. ويصور هذا المواطن كيف تسلط كثير من أصحاب الشياول والقلابات من مواطنين ووافدين على الأودية، ومخروا بطونها، وعاثوا فيها فساداً، وقاموا باستنزاف كميات هائلة من رمالها وبطحائها.. لقد استغل أولئك تربة الأودية أسوأ استغلال من خلال

* الأربعاء ٢٤ ذو الحجة ١٤٣٠هـ (١١/١٢/٢٠٠٩م)، العدد (١٣٥٨٨).

تجميعها وتكديسها على شكل تلال، ومن ثم جلبها على المدن، وبيعها بمبالغ كبيرة ومغرية على أصحاب المباني والإنشاءات الخرسانية في وقت تشهد بلادنا حركة تعمير هائلة، مما ضاعف الطلب عليها، ودفع الانتفاعيين إلى نهبها في وضح النهار، في غفلة من الجهات المسؤولة، أو تغافل منها!.

لا ألوم هذا المواطن الغيور وأمثاله؛ فالإنسان الفوضوي هو عدو الطبيعة الأول، وهو الذي أشفقت الملائكة الكرام على عذرية الأرض منه عندما قالت مخاطبة الحق جل وعلا – خطاب استفهام لا خطاب اعتراض –: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾.

كم نشاهد في مجتمعنا من الأشخاص الذين يدمرون بأعمالهم وتصرفاتهم ما حبانا الله به من موارد طبيعية، ويسيئون التعامل مع ما أنعم الله به علينا من مخلوقات فطرية، سخرها الله لنا جمالاً ومتاعاً، وجعلها زينة للحياة الدنيا، وعوامل سلامة للحياة والبيئة على كوكبنا.. وإذا انفلت الإنسان من الرادع الديني أو الرادع

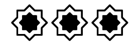
البشري أو منهما معاً؛ فإن إفساده يكون أشد، وتدميره أكبر وأضر.. وإن ما يحل بكوكب الأرض في هذا الزمان من تغيرات بيئية واضطرابات مناخية بدأت تخنق الإنسان المعاصر، وتهدد وجوده؛ ليست إلاّ نتيجة لهذا السلوك الفوضوي!.

لقد فقدت تلك الأودية وتفقد آلاف الأطنان من تربتها سنوياً، حتى أصبحت أرضيتها قاعاً صفصفاً، لا تمسك ماء، ولا تنبت نباتاً، وتغيرت مجاريها ومناسيبها وانحداراتها الطبيعية حتى غدت قنابل موقوتة، وسبباً للكوارث والمفاجآت غير السارة كلما نزلت الأمطار الغزيرة، بعد أن كانت فيما مضى وعاء يتشرب بماء السيول ليحفظ للأرض رطوبتها وقابليتها لنمو الأشجار والنباتات، ويمدها بالمياه الجوفية التي يتسرب جزء منها إلى الآبار، فيغذيها، أو يبقى قريباً من السطح فتتكون منه الثمائل العذبة والرسوس الصافية، وليشكل جزءاً مهماً من المصادر المائية الجوفية.. فبعد ظاهرة الرعي الجائر، والاحتطاب الجائر، والصيد الجائر، وبعد تلويث البيئة البرية

والبحرية بمخلفات العصر الصناعية، وما نتج عن ذلك من كوارث بيئية ومشاكل اقتصادية، وإذا بنا نواجه تعرية الأودية من رمالها وثرواتها الطبيعية.

إن أصحاب تلك المعدات الجشعين الذين لا يرقبون في الحفاظ على البيئة إلاً ولا ذمة، ولا يفكرون إلاّ في المكاسب المادية العاجلة؛ قد دمروا ويدمرون أوديتنا، ويغتالون نضارتها، وأسهموا في إفساد مرابعنا ومراعينا، دون محاسبة أو مساءلة!.

إن المشكلة متفاقمة، والحاجة ملحة إلى التحرك لوقف هذه الظاهرة الخطيرة، فهل تقوم الجهات المسؤولة بواجبها، وهل تجد في تطبيق الأوامر والأنظمة الصادرة بهذا الخصوص؟ أم تنتظر إلى أن يهلك الحرث والنسل؟.



تم بحمد الله

قائمة إصدارات المؤلف

أولاً: مؤلفات انفرد بها المؤلف:

١- **أشعار قديمة تنشر لأول مرّة**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٠هـ/١٤١٢هـ، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٥هـ.

٢- **ديوان فقيد التراث الشعبي عبدالله الزامل**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٠هـ.

٣- **أحديات وألقاب من قبيلة حرب وغيرها**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٢هـ.

٤- **أشجان شاعر: ديوان عبدالله الزامل (فصيح)**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٢هـ.

٥- **ابن مضيّان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٦- **مذكرات تاريخية عن بعض أعلام قبيلة حرب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٦هـ.

٧- **فصول من تاريخ قبيلة حرب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٧هـ، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ.

٨- **ملاحظات على المؤلفين والكُتَّاب حول التاريخ والأنساب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٩- **قصص وأشعار من قبيلة حرب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٨هـ.

١٠- **من أخبار الخيل عند قبيلة حرب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٩هـ.

١١- **التنظيمات القانونية والقضائية لدى قبائل الحجاز قبل العهد السعودي، الجزء الأول: القانون العرفي القبلي**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

١٢- **التنظيمات القانونية والقضائية لدى قبائل الحجاز قبل العهد السعودي، الجزء الثاني: القضاء العرفي وأشهر قضاته**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

١٣- **ديوان الشاعر: سبيل بن سند الحربي**، ط١، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ.

١٤- **من أخبار القبائل في نجد (٨٥٠هـ ـ ١٣٠٠هـ)**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤١٦هـ، ط٢، ١٤١٧هـ، ط٣، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

١٥- **بعض الأعيان وأعلام القبائل في وثائق المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة خلال العهد العثماني (٩٦٠هـ - ١٣٠٠هـ)**، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ط٢، الرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

١٦- **من أخبار الملك عبدالعزيز في مذكرات الراوي محمد العلي العبيِّد آل حمَيْد**، ط١، الكويت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ط٢، الرياض، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

١٧- **أشهر القضاة وكتبة الوثائق في وادي الفرع بمنطقة المدينة المنورة**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٨- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة**، ج١، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٩- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة**، ج٢، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٢٠- **لمحات وذكريات، لعبدالله الزامل**، (تحقيق ونشر)، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٢١- **البدارين من قبيلة حرب**؛ نسبهم، تاريخهم، ديارهم، ط١، الكويت، ١٤٢٦هـ، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢٢- **سهام الشوق (ديوان شعر فصيح)**، ط١، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٢٣- **تعريفات وإشارات (قراءة سريعة لبعض الإصدرات المعاصرة في التاريخ والأنساب)**، ط١، الرياض، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢٤- **خواطر ومساجلات (ديوان شعر عامي)**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢٥- **ظاهرة التأليف في القبائل والأنساب؛ الأسباب والضوابط المطلوبة**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢٦- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة**، ج٣، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٢٧- **الهَمْداني ورأيه في نسب حرب بين مؤيديه ومعارضيه**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٢٨- **أشهر التسميات المحلية للسنوات الهجرية**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ط٢، الرياض، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٢٩- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، القسم الثاني: وثائق ينبع والصفراء ونواحيهما**، ج١، ط١، الرياض، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣٠- **رسائل المحبة من صفوة الأحبة (رسائل وتهاني ومداعبات عبر الجوال)**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣١- **أعلام تشرفت بالحديث عنهم**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣٢- **أهيب بقومي: وقفات بين التاريخ والسياسية**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

٣٣- **أهيب بقومي: خواطر بين الذات والوطن**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م (وهو هذا الكتاب).

ثانياً: مؤلفات بالمشاركة مع آخرين:

٣٤- **ديوان شاعر المحاورة: صياف الحربي**، ط١، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ.

٣٥- **وسوم الإبل عند قبيلة حرب**، ط١، الرياض، سنة ١٤٢٤هـ، ط٢، سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٣٦- **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر، المفترى على شعيب الدوسري**، من إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، إصدار رقم (١٨٩)، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٣٧- **عبدالرحمن بن أحمد السديري، أمير الجوف (١٣٦٢ ــ ١٤١٠هـ)**، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، الجوف، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٣٨- **أصول الخيل العربية في مخطوطة عباس باشا**، إصدارات مكتبة الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

مؤلف الكتاب

- الاسم: فائز بن موسى البدراني الحربي.
- تخرج في معهد عنيزة العلمي سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- حصل على دبلوم إدارة المستشفيات من معهد الإدارة العامة سنة ١٣٩٨هـ، ثم التحق بالعمل الوظيفي وجمع بين العمل والدراسة على النحو التالي:
  - إكمال دورة متقدمة في الإدارة الصحية - الولايات المتحدة الأمريكية.
  - درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
  - درجة الماجستير في إدارة الصحة والمستشفيات - جامعة الملك سعود (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).
- العمل السابق:
  - المدير التنفيذي لمركز الأمير سلطان لأمراض وجراحة القلب (١٤١٢هـ - ١٤٢٠هـ).
  - مستشار بحوث تاريخية - دارة الملك عبدالعزيز (١٤٢٠هـ - ١٤٢٦هـ).
  - مدير مركز حمد الجاسر الثقافي (١٤٢٦هـ - ١٤٢٨هـ)
- العمل الحالي: باحث متفرغ.
- عضو المجلس الثقافي الاستشاري، مؤسسة عبدالرحمن بن أحمد السديري الثقافية، الرياض.
- المؤلف له اهتمام كبير في بحوث التاريخ والأنساب، وصدر له أكثر من ٣٠ إصداراً، إلى جانب العديد من المحاضرات والبحوث والمقالات المنشورة في الصحف والمجلات التاريخية المتخصصة.